فلسفة الامامة الالهية للإمام محمد الباقر عليه السلام ودورة في نشوء العقائد الفكرية و نضوج الحياة السياسية للامة

الاستاذ الدكتور
إحسان عيدان عبد الكريم السيمري
جامعة البصرة ـ كلية الطب
ihsanalsaimary@gmail.com

الخلاصة:

الإمام محمد الباقر عليه السلام من أفذاذ العترة الطاهرة، ومن أعلام أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن ابرز رجال الفكر والعلم في الاسلام فقد قام ـ فيما اجمع عليه المؤرخون – بدور إيجابي وفعال في تكوين الثقافة الاسلامية وتأسيس الحركة العلمية في الاسلام، فقد تفرغ لبسط العلم واشاعته بين المسلمين في وقت كان الجمود الفكري قد ضرب نطاقه على جميع انحاء العالم الاسلامي، ولم تعد هناك أية نهضة فكرية أو علمية، فقد منيت الامة بثورات متلاحقة، وانتفاضات شعبية كان مبعثها تارة التخلص من جور الحكم الاموي واضطهاده، وأخرى الطمع بالحكم، واهملت من جراء ذلك الحياة العلمية اهمالا تاما فلم يعدلها أي ظل على مسرح الحياة.

وقد ابتعد الامام الباقر عليه السلام عن تلك التيارات السياسية ابتعادا مطلقا فلم يشترك بأي عمل سياسي يتصادم مع الحكم القائم آنذاك، واتجه صوب العلم فرفع مناره، وأسس قواعده وأرسى اصوله، فكان الرائد والمعلم والقائد لهذه الأمة في مسيرتها الثقافية، وقد سار بها خطوات واسعة في ميادين البحوث العلمية مما يعتبر عاملا جوهريا في ازدهار الحياة الاسلامية وتكوين حضارتها المشرقة في الاجيال التي جاءت بعده.

وكان من أهم ما عنى به الامام أبو جعفر عليه السلام نشر الفقه الاسلامي الذي يحمل روح الاسلام وجوهره وتفاعله مع الحياة فسهر على احيائه فاقام مدرسته الكبرى التي زخرت بكبار الفقهاء كأبان بن تغلب ومحمد بن مسلم، وبريد وأبي بصير الاسدي والفضل بن يسار، ومعروف بن خربوذ وزرارة ابن اعين، وهؤلاء الاعلام ممن اجمعت الصحابة على

تصديقهم والاقرار لهم بالفقه، وإليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث أهل البيت عليهم السلام ولو لا هم لضاعت تلك الثروة الفكرية الهائلة التي يعتز بها العالم الاسلامي وهي احدى المدارك الاساسية لفقهاء الشيعة في استنباطهم للأحكام الشرعية. وقد قام بتسديد نفقاتهم وما يحتاجون إليه في حياتهم المعاشية ليتفرغوا الى تحصيل العلم وضبط قواعده وتدوينه، وعهد من بعده الى ولده الامام الصادق عليه السلام القيام برعايتهم والانفاق عليهم حتى لا تشغلهم الحياة الاقتصادية عن القيام بأداء مهماتهم... وقد قاموا بدور بناء في تدوين الحديث الذي سمعوه منه، كما أخذوا يلقون على البعثات الدينية ما رووه عنه، وقد روى عنه تلميذه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث[٢]. كما روى عنه أبان بن تغلب مجموعة كبيرة عنه، وقد حفلت الموسوعات الفقهية بحشد كبير من رواياتهم عنه فجميع أبواب الفقه من العبادات وسائر العقود والايقاعات مدعمة بالروايات عنه فكان المؤسس والناشر لفقه أهل البيت الذي يحتل الصدارة في الفقه الاسلامي.

المقدمة:

يقوم مشروع النهضة الإسلامية على عدة أركان هي الوحدة والعدالة والحرية والمشاركة السياسية، ويصارع المسلمون منذ عقود على طريق التقدم نحو تلك الأهداف السامية، وقد نجحوا مؤخرا في إنجاز بعض ما طمحوا إليه، ولكنهم لا يزالون يعانون كثيرا من الإخفاق في بناء أنظمة سياسية عادلة ديموقراطية أو إقامة وحدة إسلامية متينة واسعة، وربما يعود جزء من سبب إخفاقهم في تحقيق مشروعهم الحضاري إلى تراثهم الفكري السياسي المشحون بعوامل الاستبداد والصراع الداخلي والأحقاد والبغضاء والتصورات السلبية عن بعضهم البعض، وأخص بالذكر الشيعة والسنة الذين يحمل كل منهم نظريات سياسية استبدادية لا علاقة لها بالإسلام، وينظر كل منهم إلى الآخر نظرة مشوهة تقوم على أساس التقاط بعض الأفكار والنصوص والمواقف والأحداث الجزئية وتعميمها على الجميع، واستخدام ذلك أداة في القمع والظلم والإقصاء والصراع.

وتشكل نظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت" التي قال بها فريق من الشيعة في التاريخ، مادة خصبة أو وقودا لا ينضب في أتون التفرقة بين المسلمين، فمن جهة يعتقد "الإمامية" أن تلك النظرية من صلب الإسلام والتشيع، وضرورة من ضرورات الدين، ويصعب عليهم

بالتالي التخلي عنها. ومن جهة أخرى يستنكر المسلمون "السنةُ" تلك النظرية وتوابعها كالموقف السلبي من الصحابة والشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وهذا ما يؤدي إلى استمرار التشنج والخلاف بين الطرفين، وربما انقسامهم إلى "فسطاطين" متعاديين، كما يحلو للبعض أن يصور الموضوع، ويأمل ويعمل من أجل إدامة شعلة الخلاف بين المسلمين.

وأملا بتوحيد المسلمين وتحريرهم من الظلم والاستبداد، وحل الخلاف التاريخي بين السنة والشيعة، نرى ضرورة طرح مجموعة أسئلة: هل تشكل نظرية "الإمامة" صلب الإسلام والتشيع حقا؟ وهل كان يؤمن بها جميع الشيعة قديما وحديثا؟ وهل يمكن أن يتفق المسلمون جميعا على فكر سياسي بديل وجديد؟ وهل يجب أن يحافظ السنة والشيعة على هوياتهم الطائفية إلى يوم القيامة؟ وهل تقوم خلافاتهم الفكرية على أساس الدين؟ أم على أساس المصالح والنظريات السياسية؟ وأساسا هل ولد الشيعة في التاريخ ليكونوا طائفة في مقابل السنة؟ أو طائفة منغلقة تستهدف السنة؟ أم كانوا حزبا سياسيا طليعيا يعمل من أجل تحرير الأمة الإسلامية وتحقيق العدالة والخير لها؟

إن الإجابة على الأسئلة الآنفة تتوقف على قراءة تاريخ التشيع عبر مراحله المختلفة وإلقاء نظرة شاملة عليه. فقد ظهر التشيع على يدي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة خصومه في الفتنة الكبرى. ويومها لم يكن التشيع يحمل أي تمايز ديني في العقيدة أو الصلاة والصوم وسائر العبادات، بقدر ما كان يحمل رؤية خاصة في تفسير الدين بالعدل والمساواة واحترام كلمة الأمة، ورفض الاستيلاء على أمورها بالقوة والإكراه. وبهذا المعنى فقد كان "التشيع العلوي" هو طابع الأمة الإسلامية كلها، في مقابل شرذمة متمردة صغيرة كانت تحاول اتخاذ مال الله دولا وعباد الله خولا، وهو ما عبر عنه الإمام الحسين بن علي عليه السلام في ثورته على يزيد بن معاوية سنة ٦١ هـ عندما دعا أهل العراق لنصرته من أجل الإصلاح في أمة جده كلها، ولم يخرج من أجل تحقيق مآرب شيعية خاصة.

المبحث الأول

ملخص سيرة حياة الامام محمد الباقر عليه السلام

اسمه: محمد.

كنيته: ابو جعفر.

والده: علي بن الحسين السجاد.

جده: الحسين سيد الشهداء.

أمه: فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى، قال عنها الإمام الصادق عليه السلام: (كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها).

ألقابه: الباقر، الشاكر، الهادي.

ولادته: ولد الإمام الباقر بالمدينة سنة٥٧ للهجرة في غرة رجب.

استشهاده: توفي مسموما بالمدينة عام١١٤ للهجرة وله من العمر٥٧ سنة.

أولاده: له سبعة أولاد وهم: جعفر (الصادق) وعبد الله وإبراهيم وعبيد الله وعلي وزينب وأم سلمة، ولم يعقب منهم إلا الصادق عليه السلام.

أشهر اخوته: زيد الشهيد.

أزواجه: فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأم حكيم بنت أسد، واثنتان أخريات.

ملوك عصره: عاصر الإمام الباقر عليه السلام خمسة من ملوك بني أمية وهم: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وتوفي في ملكه بعد أن دس إليه السم.

صفته: كان الإمام الباقر عليه السلام ذو هيبة وجلال، وقد جلس عنده عكرمة فارتعش من هيبته وجلالته، وكان معتدل القامة، أسمرا، بدينا نوعا ما، وكان كثير الذكر، يمشي ويذكر الله تعالى، له خال على خده، جعد الشعر حسن الصوت.

عاش الإمام الباقر مع جده الحسين نحو أربع سنين، ومع أبيه٣٥ سنة، وبعد أبيه١٨ سنة وهي مدة إمامته.

نقش خاتمه: (ظني بالله حسن وبالنبي المؤتمن، وبالوصي ذي المنن وبالحسين والحسن) وروي (العزة لله) أو (العزة لله جميعا).

حرزه: بسم الله الرحمن الرحيم يا دان غير متوان يا أرحم الراحمين إجعل لشيعتي

من النار وقاء لهم ولهم عندك رضا واغفر ذنوبهم ويسر امورهم واقض ديونهم واستر عوراتهم وهب لهم الكبائر التي بينك وبينهم يا من لا يخاف الضيم ولا تأخذه سنة ولا نوم إجعل لي من كل غم فرجا ومخرجا.

ولادته:

ولد الإمام الباقر عليه السلام في شهر رجب المبارك عام٥٧ هجرية، وتلقفه أهل البيت بالتقبيل والسرور، إذ لطالما كانوا ينتظرون ولادته التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وآله منذ عشرات السنين.

النص على إمامته:

كان من سنة الأئمة الهداة عليهم السلام أنهم يرجعون الناس إلى الإمام المعصوم قبل أن يفارق الإمام السابق الدنيا، وكان دأبهم أن تكون الوصية واضحة وامام أعيان الناس لكيلا يدعي أحد الوصية.

وفي اعتقادنا – الشيعة – أن لكل إمام وصية ونص من الإمام السابق عليه ويضاف إليها ظهور المعجزات عنه الدالة على صدق دعواه، وليس ظهور المعجزة على يد الأوصياء بأمر غريب بل ظهرت المعجزات من قبل على يد يوشع بن نون وصي موسى وعلى يد أصف وصي سليمان وغيرهم.

وهكذا أوصى الإمام السجاد عليه السلام بالإمامة ومواريث الأنبياء إلى ولده الإمام الباقر عليه السلام عندما حضرته الوفاة، حيث التفت إلى ولده وهم مجتمعون عنده مع بعض الأصحاب الأجلاء، ثم التفت إلى محمد الباقر وقال: (يا محمد هذا الصندوق اذهب به إلى بيتك)، قال: (أما إنه لم يكن فيه دينار ولا درهم ولكن كان مملوءا علما).

فلما توفي السجاد عليه السلام جاء أخوته يدعون ما في الصندوق فقالوا للباقر: أعطنا نصيبنا من الصندوق، فقال: (والله مالكم فيه شيء ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلي)، وكان في الصندوق سلاح رسول الله وكتبه مع كتب وصحف الانبياء السابقين.

وروي أن الإمام السجاد عليه السلام قال لابنه الباقر عليه السلام: بني إني جعلتك خليفتي من بعدي لا يدعي فيما بيني وبينك أحد إلا قلده الله يوم القيامة طوقا من نار.

مناظراته:

لقد عرف عهد الإمام الباقر بكثرة المناظرات والمحاججات والحوارات المفتوحة، لأن دولة بني أمية فتحت المجال للبدع والمذاهب المنحرفة والاتجاهات الضالة والآراء الفاسدة الكاسدة، فجلس الإمام الباقر بكل جهاد أمام هذه التيارات المنحرفة يوعظهم ويرشدهم ويصحح أفكارهم ويهديهم إلى الصراط المستقيم، ومن مناظراته التي سنذكرها ما يلي:

الباقر مع عالم نصراني:

جلس يوما الإمام الباقر إلى أحد علماء النصارى فقال للإمام: هل أنت منا أم من الأمة المرحومة.

فقال الإمام: بل من هذه الأمة المرحومة.

فقال: من أيهم أنت من علمائهم أم من جهالها؟

فقال له: لست من جهالها.

فاضطرب اضطرابا شديدا ذلك العالم وقال للإمام: أسألك؟

فقال الإمام: سل.

فقال النصراني: من أين ادعيتم أن أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون؟ وما الدليل فيما تدعونه من شاهد؟

فقال الإمام: مثل الجنين في بطن أمه يطعم ولا يحدث.

فاضطرب النصراني ثم قال: هلا زعمت انك لست من علمائها؟

فقال الإمام: ولا من جهالها.

فقال للإمام: أسألك عن مسألة أخرى؟

قال: سل.

قال النصراني: من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة أبدا غضة طرية موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنة؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل؟

فقال الإمام: دليله أن ترابنا أبدا يكون غضا طريا موجودا غير معدوم عند جميع أهل الدنيا لا ينقطع.

فاضطرب النصراني فقال: أخبرني عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار؟

فقال الإمام: هي الساعة التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

فقال النصراني: بقيت مسألة واحدة والله لأسألك عنها ولا تقدر أن تجيب عليها، فقال: أخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمر أحدهما خمسون سنة وعمر الآخر مائة وخمسون سنة في دار الدنيا؟

فقال الإمام: ذلك عزير وعزيرة ولدا في يوم واحد فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرون عاما مر عزير على حماره بأنطاكية وهي خاوية على عروشها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ البقرة: ٢٥٩.

فأماته الله مائة عام ثم بعثه على حماره، وكان عزيرة عمره مائة وخمسة وعشرون سنة، فعاشا سوية خمسة وعشرين سنة ثم قبضهما الله في يوم واحد.

فهنض النصراني وقال: جئتموني بأعلم مني وأقعدتموني معكم حتى هتكني وفضحني.

نعم هكذا كان الإمام الباقر عليه السلام يجيب عن مئات الأسئلة المحرجة والغريبة بكل رحابة صدر وتواضع ودون ضجر أو كسل، فإنهم عليهم السلام هكذا كانوا يبثون العلم في الناس ويرفعون مظاهر التخلف والغباء.

نظرية الإمامة:

دأب الإمام الباقر أن يؤسس للناس نظرية الإمامة بشكل واصح من خلال محاوراته ومناظراته، ولذلك لما كان بعض الناس يسألونه: أن إنسانا ينقطع إصبعه ويضع عليه دواءا فهل يمكنه الوضوء أو أنه يتيمم؟ فكان الإمام يترك ذلك ويقول أن هذا وأمثاله يفهم من القرآن، فمثل هذه الأمور ليست بالضخامة بل، القضية الأهم من الإصبع الواحد هي الأمة الإسلامية وجوهرها إمامة أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله.

والداعي الذي أدى بالإمام الباقر إلى تكثيف الحوارات حول الخلافة والإمامة، هو أن المذاهب الأربعة (المالكية، الشافعية، الحنبلية والحنفية) نشأت تقريبا في زمان الإمام الباقر، فأراد الإمام أن يوضح هوية المذهب الحق ونذكر إليك واحدة من محاوراته في الإمامة بشكل تام.

معجزة للباقر عليه السلام:

قال أبو بصير: قلت يوما للباقر عليه السلام: أنتم روثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: نعم.

قلت: ورسول الله صلى الله عليه وآله وارث الأنبياء جميعهم؟

قال: وارث جميع علومهم.

قلت: وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: نعم.

قلت: فأنتم تقدرون ان تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم؟

قال: نعم نفعل ذلك بإذن الله تعالى.

ثم قال: ادن مني يا أبا بصير.

وكان أبو بصير مكفوفا (أعمى)، قال: فدنوت منه، فمسح بيده على وجهي فأبصرت السماء والجبال والأرض.

فقال: أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله أو تكون كما كنت ولك الجنة؟

قلت: الجنة.

فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت.

عبادة الإمام الباقر عليه السلام

العبادة بالنسبة للمعصومين تمثل حالة كمال وإشراق وليست عبارة عن تكليف يراد الخلاص منه، بل كانوا يأنسون بالعبادة لله تعالى.

حكى (أفلح) وهو خادم الإمام الباقر، قال: حججت مع أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى، فقلت: بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلا؟

قال: ويحك يا أفلح ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إلي برحمة منه فأفوز بها غدا.

ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركع خلف المقام فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه.

فالباقر عليه السلام يعيش حالة القرب الإلهي والدنو الرباني والأنس والشوق للحق سبحانه وتعالى مثل جده النبي صلى الله عليه وآله، وهذ صورة واحدة من الكثير الذي لا يمكن أن نذكره هنا عن عبادة الإمام الباقر عليه السلام.

نعم لم تكن عبادتهم صوفية تعزلهم عن الناس وتمنعهم من الموعظة والإعانة والإيثار، بل كانوا في عمق العبادة يصلون الناس كعلي عليه السلام عندما أعطى خاتمه إلى الفقير وهو في ركوعه.

حلم الإمام عليه السلام:

كان أحد الرجال يجلس عند الإمام الباقر عليه السلام ولكنه يبغض الإمام بغضا كبيرا، وكان يقول للإمام الباقر: يا محمد ألا ترى أني إنما أجيء إلى مجلسك حياءا مني منك ولا أقول أن احدا في الأرض أبغض إلي منكم أهل البيت وأعلم أن طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم، ولكن أراك رجلا فصيحا لك أدب وحسن لفظ، فإنما اختلافي إليك لحسن أدبك.

وكان ابو جعفر يقول له خيرا لن تخفى على الله خافية.

ففي يوم من الأيام مرض هذا الرجل وكان من أهل الشام واشتد وجعه، عندها دعا

ابنه وقال له: إذا مت فأت محمد الباقر وسله أن يصلي علي وأعلمه أني أنا الذي أمرتك بذلك.

فلما كان في نصف الليل ظنوا أنه قد مات وسجوه، فلما أن أصبح الناس خرج ابنه إلى المسجد فلما صلى الإمام الباقر وتورك قال له: يا أبا جعفر إن فلان الشامي قد هلك وهو يسألك أن تصلي عليه.

فجاء الإمام إلى داره، وأسند الرجل الشامي وأجلسه وسقاه شرابا، وقال لأهله: املئوا بطنه وبردوا صدره بالطعام البارد.

ثم انصرف الإمام فلم يلبث قليلا حتى عوفي الشامي فأتى أبا جعفر فقال له: أشهد أنك حجة الله على خلقه وبابه الذي يؤتى منه فمن أتى غيرك خاب وخسر وضل ضلالا بعيدا.

فقال له أبو جعفر: مابدا لك؟

قال لما أصابتني الغيبوبة وخرجت روحي عاينت بها وسمعت مناديا ينادي: ردوا عليه روحه فقد سألنا ذلك محمد بن علي عليه السلام.

ويروى أن نصرانيا لاقى الإمام الباقر في الشارع فقال له: أنت بقر؟

فقال له الإمام: لا، أنا باقر.

فقال النصراني: أنت ابن الطباخة؟

قال: ذاك حرفتها.

قال: أنت ابن السوداء الزنجية؟

قال: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك.

فخجل النصراني من شدة حلم الإمام الباقر، وأخذه الحياء حتى رافقه الإمام وكلمه بأحسن الكلام فأسلم النصراني على يد الإمام.

رحيل الإمام الباقر عليه السلام:

جاء في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي أن الباقر مات مسموما، وكان ذلك في ملك

هشام بن عبد الملك، وتشير المصادر أن هشام كان وراء سم الإمام عليه السلام.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: قال لي أبي ذات يوم في مرضه (على أثر السم): يا بني أدخل أناسا من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم، فأدخلت عليه أناسا منهم فقال: يا جعفر إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبري أربع أصابع ورشه بالماء، فلما خرجوا قلت له: يا أبت لو أمرتني بهذا صنعته ولم ترد أن ادخل عليك قوما تشهدهم، فقال: يا بني اردت أن لا تنازع وكرهت أن يقال أنه لم يوص إليه فأردت أن تكون لك الحجة.

وبذلك يعلمنا الإمام درسا مهما حتى في أواخر حياته الشريفة، فعلينا أن نهتم بأمر الوصية ونعلنها بشكل لا يولد الشك في قلوب الآخرين، ثم إن الإمام الباقر أراد أن يعلم الناس بإمامة الصادق من بعده.

وفعلا فقد قام الإمام الصادق بتغسيله وتكفينه على ما أوصاه ودفنه، ومضى إمامنا الباقر إلى سبيله مجاهدا محتسبا صابرا بعد حياة قضاها بنشر العلم وبث أحكام الدين وتفسير القرآن.

المبحث الثاني

انطباعات عن شخصية الإمام محمّد الباقر عليه السلام

١ ـ قال له الأبرش الكلبي: أنت ابن رسول الله حقاً. ثم صار الى هشام فقال: دَعُونا منكم يا بني أمية؛ إن هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض، فهذا ولد رسول الله[١].

٢ ـ قال أبو اسحاق: لم أر مثله قط[٢].

٣ ـ قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمه[٣].

٤ ـ قال الحكم بن عتيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: كان والله محمد بن علي منهم[٤].

٥ ـ كتب عبد الملك بن مروان الى عامل المدينة: ابعث إليّ محمد بن علي مقيّداً.

فكتب إليه العامل: ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أمير المؤمنين، ولا رداً لأمرك، ولكن رأيت أن أُراجعك في الكتاب نصيحة لك، وشفقة عليك. إنّ الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ولا أزهد ولا أورع منه، وإنّه من أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة،وكرهت لأمير المؤمنين التعرض له فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. فَسُرّ عبد الملك بما أنهى إليه الوالي وعلم أنّه قد نصحه[٥].

٦ ـ وقال له هشام بن عبد الملك: والله ما جرّبت عليك كذبا[٦]. وقال له أيضاً: لا تزال العرب والعجم يسودها قريش ما دام فيهم مثلك[٧].

٧ ـ قال له قتادة بن دعامة البصري: لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك[٨].

٨ ـ قال له عبد الله بن معمر الليثي: ما أحسب صدوركم إلاّ منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره وللناس ورقه[٩].

٩ ـ قال شمس الدين محمد بن طولون: أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، الملقّب بالباقر، وهو والد جعفر الصادق رضي الله عنهما، كان الباقر عالماً، سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقّر في العلم، أي توسّع، والتبقير التوسيع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى ... وخير من لبّى على الأجبُل[١٠]

١٠ ـ قال محمد بن طلحة الشافعي: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، ومنمّق درّه وواضعه. صفا قلبه، وزكا علمه، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف، وطهارة الاجتباء[١١].

١١ ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كان محمد بن علي بن الحسين سيد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه[١٢].

١٢ ـ قال أبو نعيم الإصبهاني: الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر، محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوة، ومن جمع حسب الدين والابوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات[١٣].

١٣ ـ قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني: منبع الفضائل والمفاخر، الإمام محمد بن علي الباقر (رضي الله عنه)، وإنما سمي بالباقر لانه بقر العلم، وقد قيل: لقب بالباقر لما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين، اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً، أي يفجره تفجيراً، فإذا رأيته فاقرأه مني السلام. وكان خليفة أبيه من بين إخوته، ووصيه والقائم بالإمامة من بعده[١٤].

١٤ ـ قال علي بن محمد بن أحمد المالكي ـ المعروف بابن الصباغ ـ: وكان محمد بن علي بن الحسين عليه السلام مع ما هو عليه من العلم والفضل والسؤدد والرياسة والامامة، ظاهر الجود في الخاصة والعامة، ومشهور الكرم في الكافة، معروفاً بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله[١٥].

١٥ ـ قال ابن خلّكان: أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين الملقب بالباقر، أحد الأئمة الاثني عشر... وكان الباقر عالما سيداً كبيراً[١٦].

١٦ ـ قال أحمد بن حجر: وارثه ـ أي وارث الإمام زين العابدين ـ منهم عبادة وعلماً، وزهادة ابو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض، أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة، أو فاسد الطينة والسريرة؛ ومن ثمّ قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله. وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين. وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر أنّه قال له ـ وهو صغير ـ: رسول الله صلى الله عليه وآله يسلّم عليك، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت

عند رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً، والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فاذا أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام(١٧).

١٧ ـ قال محمد أمين البغدادي السويدي: لم يظهر عن أحد من أولاد الحسين من علم الدين والسنن والسير وفنون الأدب، ما ظهر عن أبي جعفر(رضي الله عنه)[١٨].

(١) المناقب: ٢ / ٢٨٦.

(٢) ائمتنا: ١ / ٣٩٦، عن أعيان الشيعة: ٤ ق٢ / ٢٠.

(٣) بحار الانوار: ١١ / ٨٢.

(٤) كشف الغمة: ٢١٢.

(٥) ائمتنا: ١ / ٣٩٦، عن اعيان الشيعة: ٤ ق٢ / ٨٥.

(٦) المناقب: ٢ / ٢٧٨.

(٧) بحار الانوار: ١١ / ٨٨.

(٨) في رحاب أئمة أهل البيت: ٤ / ١٠.

(٩) كشف الغمة: ٢٢١.

(١٠) الائمة الاثنا عشر: ٨١.

(١١) مطالب السؤول: ٨٠، كشف الغمة: ٣٢٩/٢ والصواعق المحرقة: ٣٠٤ مع اختلاف يسير.

(١٢) المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة ٢٠١.

(١٣) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٠.

(١٤) اخبار الدول: ١١١.

(١٥) الفصول المهمة: ٢٠١.

(١٦) وفيات الاعيان: ٣ / ٣١٤.

(١٧) الصواعق المحرقة: ٣٠٥.

(١٨) سبائك الذهب: ٧٢.

المبحث الثالث

أهم ملامح عصر الإمام محمد الباقر عليه السلام

١- في الفترة الواقعة بين سنة (٩٥ هـ - ٩٧ هـ) وفي بداية تصدّي الإمام محمد الباقر عليه السلام للامامة كان الحاكم الأموي: الوليدُ بن عبد الملك قد بدأ باتخاذ بعض الاساليب لامتصاص النقمة الشعبية التي خلقتها السياسة الارهابية التي انتهجها السفّاك الأثيم الحجّاج بن يوسف وبعض الولاة الآخرين[٢].

٢- تصدّعت الجبهة الداخلية للبيت الأموي المرواني، ودبّ الخلاف بين الوليد وأخيه سليمان، حيث أراد الوليد خلعه ومبايعة ابنه عبد العزيز، فأبى عليه سليمان، ولم يجبه للبيعة جميع الولاة باستثناء الحجّاج وقتيبة بن مسلم وبعض الخواصّ من الناس، فعزم الوليد على السير إليه ليخلعه بالقوّة فمات قبل ذلك[٣].

٣- وفي بداية حكومة سليمان بن عبد الملك انشغل سليمان بمتابعة ولاة الوليد وعزلهم عن مناصبهم(٤) وحاول إصلاح بعض الاوضاع المتردّية تقرباً إلى الناس، فأطلق المعتقلين وفكّ الأسرى[٥].

٤- كانت الدولة محاطة بجملة من المخاطر من الداخل والخارج[٦]. فانشغل الحكّام والولاة عن ملاحقة أو محاصرة الإمام الباقر عليه السلام خوفاً من قاعدته الشعبية العريضة والمتنامية فتصدى عليه السلام للإمامة وقام بأداء دوره الاصلاحي والتغييري في أوساط الأُمة الاسلامية، بعيداً عن المواجهة السياسية العلنية للنظام القائم.

مظاهر الانحراف في عصر الإمام الباقر عليه السلام:

إن إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن موقع القيادة وإمامة المسلمين أدّى الى الانحراف في جميع مجالات الحياة، وترك تأثيره السلبي على جميع مقومات الشخصية، في الفكر والعاطفة والسلوك، فعمّ الانحراف الدولة والأُمة معاً، كما عمّ التصورات والمبادئ، والموازين والقيم، والأوضاع والتقاليد، والعلاقات والممارسات العملية جميعاً.

نعم تغلغل الانحراف في ميدان النفس، وميدان الحياة الاجتماعية، وتحوّل الإسلام الى طقوس ميتة لا تمتّ الى الواقع بصلة، خلافاً لأهداف الإسلام الذي جاء من أجل تقرير

المنهج الإلهي في الحياة. فانحسر عن الكثير من تلك المجالات ليصبح علاقة فرديّة بين الإنسان وخالقه فحسب.

ازداد الانحراف في عهود الملوك المتعاقبين على الحكم، وكان للافكار والعقائد نصيبها الاكبر من هذا الانحراف، ولم يكترث الحكّام بهذا الانحراف بل شجّعوا عليه؛ لأنه كان يخدم مصالح الحكم القائم، ويشغل المسلمين عن همومهم الأساسية وبخاصة التفكير في مجال تغيير الاوضاع وإعادتها الى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فكثرت في عهد الأُمويين الانحرافات الفكرية والعقائدية وتعدّدت وتعاظمت، وأصبح لها أتباع وأنصار، وتحولت الى تيارات وكيانات خالف الكثير منها الأُسس الواضحة للعقيدة الاسلامية، وابتدعوا ما لا يجوز من الأُمور المخالفة للقرآن الكريم وللسنة النبوية، فانتشرت أفكار الجبر والتفويض والإرجاء، كما انتشرت أفكار التجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه، وكثرت الشبهات حول ثوابت العقيدة، وكثر الحديث حول ماهية الله تعالى وذاته، وتنوّعت تيّارات الغلوّ، حتى زعم البعض حلول الذات الإلهية في قوم من الصالحين، وقالوا بالتناسخ، وانتشرت الزندقة، فجحدوا البعث والنشور، وأسقطوا الثواب والعقاب وزُوِّرت الأحاديث والروايات واختُلِق كثير منها؛ لدعم التسلط الأُموي، كما راج اختلاق الفضائل لصالح المنحرفين من الصحابة، وطرحت نظرية عدالة جميع من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله أو رآه أو ولد في عهده، بينما منعوا ـ من جانب آخر ـ من نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام.

وكان للحكّام دور كبير في تشجيع هذا الانحراف المتمثّل في اختلاق النصوص وقد وصف الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ذلك قائلاً: ((إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها: الغلو. وثانيها: التقصير في أمرنا. وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا))[٧].

وانتشرت ظاهرة الإفتاء بالرأي، وراج القياس في الأحكام والتفسير بالرأي لآيات القرآن المجيد، كما انتشرت أفكار التصوّف والاعتزال عن الحياة، وفصل الدين عن السياسة.

وأشغل الحكّام كثيراً من الناس بالجدل في المسائل العقلية التي لا فائدة فيها، وشجّعوا على اقامة مجالس المناظرة والجدل العقيم في ذات الله تعالى وفي الملائكة، وفي قدم القرآن أو حدوثه.وهكذا كان للحكّام دور كبير في خلق المذاهب المنحرفة والتشجيع عليها، لاسيّما بعض المذاهب التي كانت تحمل شعار الانتساب الى أهل البيت عليهم السلام كالكيسانية لغرض شق صفوف أتباع

أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا يستهدفون الواقع السياسي المنحرف.

المبحث الرابع

العلاقة بين الإسلام والسياسة

وللتعرف على حقيقة الأمر يجدر بنا ملاحظة المؤشرات التاريخية والنصوص الواردة الينا من تلك الحقبة، والتعرف أولاً على موقف الإسلام من السياسة عموما، وفيما إذا كان النظام السياسي جزءاً من الدين؟ أم لا؟ وطبيعة التجربة النبوية نفسها وفيما إذا كانت دينا محضا؟ أم دينا ومُلكا؟ وموقف الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله من الأنظمة السياسية المسلمة التي كانت قائمة في زمنه.

ولا شك أن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله مارس السياسة بشكل معين، ولكنه لم يؤسس دولة بالمعنى الحديث للكلمة، ولم يصبح ملكا، ولم يطرح نفسه بديلا عن الممالك العربية وغير العربية القائمة في ذلك الزمان. وبالرغم من أنه كان يمتلك شرعية سماوية إلا أنه لم يفرض سلطانه على المسلمين في المدينة إلا بعد أخذ البيعة منهم في العقبة[١]. ولم يتدخل في تفاصيل الأنظمة السياسية للقبائل العربية التي كانت تدخل في الإسلام، بقدر ما كان يهتم بأمر التوحيد والصلاة والزكاة. وكان يخاطب الملوك المعاصرين له ويدعوهم إلى الإيمان برسالته ويعِدهم بالمحافظة على ملكهم تحت أيديهم. وقد ترك الأمراء والملوك والأقيال والسلاطين الذين أسلموا في حياته على ما هم عليه، ولم يطلب منهم التخلي عن أنظمتهم السياسية لصالح نظام جديد يفرضه عليهم[٢]. وقد خلت رسائل الرسول إلى كسرى وقيصر وعظيم القبط من أية دعوة للتنازل عن الملك إليه، وإنما تضمنت فقط دعوتهم إلى الدخول في الدين الجديد.[٣] وهذا ما يدل على أن الرسول محمد صلى الله عليه وآله لم يكن بصدد تغيير الأنظمة السياسية القائمة، وبناء دولة جديدة، بقدر ما كان يهتم بنشر الدعوة الإسلامية، ولذلك لم يضع دستوراً للحكم من بعده، ولم يتحدث عن أسلوب تداول السلطة وطريقة انتخاب الحاكم أو صلاحياته، ولا عن تفاصيل العلاقة بين الحاكم والمحكوم غير الالتزام بالعدل والطاعة في المعروف، كما لم يؤسس مجلسا للشورى يضمن انتقال السلطة بعده بشكل آلي إلى من يريد. وإنما أعطى الأمة كلها الحق بإقامة نظامها السياسي المدني، وأوكل إليها مهمة مراقبة ذلك النظام ومحاسبته وتغييره.

ومن هنا لم يترك النبي محمد صلى الله عليه وآله بعده حكومة دينية مشابهة للحكومات اليهودية القديمة التي كان يقودها الكهنة والأحبار، أو مشابهة للحكومات المسيحية التي كان يقودها القياصرة بدعم من بابوات الكنيسة في العصور الوسطى. حيث لم يقر الرسول نظام ازدواج السلطتين الزمنية والدينية. ولم يؤسس سلطة دينية كالكنيسة عند المسيحيين، ولم يَكِل إليها مهمة منح الشرعية للملوك ولا مهمة محاسبتهم أو مراقبتهم. وترك النبي صلى الله عليه وآله المسلمين في حالة الطبيعة أحراراً متساويين، دعاهم إلى التزام العدل وحثهم على عمل الخير، وعلمهم ممارسة الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولم يعين أحدا خليفة من بعده.

وإذا كانت نظرة الإسلام إلى السياسة، أو بعبارة أدق إلى الأنظمة السياسية، نظرة مدنية وليست دينية، أي عدم اعتبارها جزءا من الدين، فان نظرته إلى الخلافة لن تكون دينية أيضا، وانما هي قضية عرفية مدنية، ومن هنا فان التشيع للإمام علي سيكون سياسيا لا دينيا.

ومما يؤكد كون التشيع الأول ذا طبيعة سياسية وليس عقيدة دينية، هو تبني الإمام علي وأهل البيت وعموم الشيعة في القرن الهجري الأول لفكر الشورى، وعدم معرفتهم بالنصوص التي جاء بها "الإماميون" حول نظرية الإمامة، أو عدم فهمهم لها بتلك الصورة. حيث فهم الشيعة الأوائل التشيع كولاء سياسي مجرد لأهل البيت حتى بداية القرن الثاني الهجري على الأقل، تاريخ نشأة الفكر الإمامي. وحسبما يقول الدكتور عبد الله فياض:"فقد ظهرت بوادر التشيع السياسي أو الولاء لعلي دون الالتزام بقضية الاعتراف بإمامته الدينية، في سقيفة بني ساعدة، حين أسند حق علي بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير والعباس وغيرهما. وبلغ التشيع السياسي أقصى مداه حين بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان"(٤). ويؤكد: أن "شيعة علي" قبل مقتل الحسين لم يكونوا الفرقة الدينية التي عرفت فيما بعد بالشيعة. ويستشهد برأي المستشرق فلهاوزن الذي ذهب إلى عدم تشكيل الشيعة في العراق في الأصل فرقة دينية، وأن اسم الشيعة كان "تعبيرا عن الرأي السياسي في هذا الإقليم كله، فكان جميع سكان العراق، خصوصا أهل الكوفة، شيعة علي، على تفاوت فيما بينهم"(٥).

ولم تكن النصوص النبوية التي تشيد بفضل الإمام علي، والتي سوف يتخذها الإمامية

فيما بعد دليلا على قِدم "التشيع الديني" تعني النص على الإمام بالخلافة أو الوصية إليه بالإمامة، ولذلك قال العباس بن عبد المطلب (الذي كان حريصا على أمر الخلافة) للإمام علي، في مرض النبي الذي توفي فيه:"...إنك بعد ثلاث عبد العصا، وإني أرى رسول الله سيتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصى بنا، فقال علي بن أبي طالب: والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدا، والله لا أسألها رسول الله أبدا".(٦) وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حاول العباس اقتناص الفرصة فقال لابن أخيه علي بن أبي طالب:"امدد يدك أبايعك وآتيك بهذا الشيخ من قريش (يعني أبا سفيان) فيقال: عم رسول الله بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك من قريش اثنان، والناس تبع لقريش". كما عرض أبو سفيان على الإمام علي أن يبايعه قائلا: "امدد يدك أبايعك، فلأملأنها خيلا ورجلا". ولكن الإمام رفض الاستجابة لهما(٧).

وهذا دليل على عدم شعور الإمام علي بالنص عليه من الله كخليفة مباشر للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وإلا لكان استجاب لزعماء قريش واستعان بهم لقلب الطاولة على أبي بكر.

وأما موضوع الوصية من النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي، والتي يعتبرها الإمامية أيضا دليلا آخر على ارتباط الإمامة بالنبوة، فإنها لم تكن تعني الإمامة والخلافة، وإنما كانت وصية شخصية حسبما يقول الإمام جعفر الصادق:" انه لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة؛ دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين، فقال للعباس: يا عم محمد..تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته؟..فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني شيخ كبير كثير العيال قليل المال من يطيقك وأنت تباري الريح. قال فأطرق هنيهة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد وتنجز عداته وتقضي دينه؟.. فقال كردّ كلامه.. قال: أما أني سأعطيها من يأخذ بحقها. ثم قال: يا علي يا أخا محمد أتنجز عدات محمد وتقضي دينه وتقبض تراثه؟.. فقال: نعم بأبي أنت وأمي ذاك عليَّ وليَ، قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه فقال: تختم بهذا في حياتي، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في إصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم. ثم صاح يا بلال علَيَّ بالمغفر والدرع والراية والقميص وذي الفقار والسحاب والبرد والأبرقة والقضيب... ثم دعا بزوجي نعال عربيين جميعا أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف،

والقميصين: القميص الذي اسري به فيه والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين والجمع، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه. ثم قال: يا بلال علي بالبغلتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والقصوى، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله صلى الله عليه وآله وحيزوم وهو الذي كان يقول: أقدم حيزوم، والحمار عفير فقال: أقبضها في حياتي"[٨]. وهذه الوصية كما هو ملاحظ وصية عادية شخصية آنية، لا علاقة لها بالسياسة والإمامة الخلافة الدينية، وقد عرضها الرسول في البداية على العباس بن عبد المطلب فأشفق منها، وتحملها الإمام علي طواعية.

وحتى "حديث الغدير" الذي ورد أن النبي قال فيه: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه". والذي يعتبره الإمامية أعظم دليل على ابتداء "التشيع الديني" في زمن الرسول، فانه لم يكن يعني النص والتعيين بالخلافة، ولم يفهم أحد ذلك المعنى منه، حتى الإمام علي نفسه، الذي بايع أبا بكر وعمر وعثمان، ولم يستلم الخلافة إلا بعد بيعة الناس له، عقب مقتل عثمان، بيعةً عامةً في المسجد. وحسبما يقول الإمام محمد الباقر فإن الإمام علي لم يدعُ إلى نفسه وأقر القوم على ما صنعوا وكتم أمره[٩].

وإذا كان الإمام علي قد أمسك يده عن بيعة أبي بكر لفترة من الوقت، فلأنه كان يشعر بأنه أولى منه بالخلافة، وقد عبر عن ذلك بقوله:"إنهم احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة".[١٠] ولكنه عاد فبايع أبا بكر، خصوصا بعد حدوث الردة، حيث مشى إليه عثمان بن عفان فقال له:" يا ابن عم انه لا يخرج أحد إلى قتال هؤلاء وأنت لم تبايع" فأرسل إلى أبي بكر أن يأتيه، فأتاه أبو بكر فقال له:" والله ما نفسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير، ولكنا كنا نظن أن لنا في هذا الأمر نصيبا استبد به علينا" وخاطب المسلمين قائلا: "إنه لم يحبسني عن بيعة أبي بكر ألا أكون عارفا بحقه، ولكنا نرى أن لنا في هذا الأمر نصيبا استبد به علينا" ثم بايع أبا بكر، فقال المسلمون:"أصبت وأحسنت"[١١].

وتبعا لمفهوم "التشيع السياسي" القائم على فكرة "الأولوية" قالت أحزاب شيعية عديدة في القرن الثاني الهجري:" إن علياً كان أولى الناس بعد رسول الله لفضله وسابقته وعلمه، وهو أفضل الناس كلهم بعده، وأشجعهم وأورعهم وأزهدهم". وأجازوا مع ذلك إمامة

أبى بكر وعمر وعدوهما أهلا لذلك المكان والمقام، وذكروا: "إن عليا سلَّم لهما الأمر ورضي بذلك وبايعهما طائعا غير مكره وترك حقه لهما، فنحن راضون كما رضي المسلمون له، ولمن بايع، لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع منا أحدا إلا ذلك، وإن ولاية أبى بكر صارت رشدا وهدى لتسليم علي ورضاه". وان منهم من ذهب الى "أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن كان جائزا للناس أن يولوا عليهم غيره، إذا كان الوالي الذي يولونه مجزئا، أحب علي ذلك أم كرهه، فولاية الوالي الذي ولوا على أنفسهم برضا منهم رشد وهدى وطاعة لله، وطاعته واجبة من الله عز وجل".[١٢] وهو ما يدل على عدم إيمانهم بنظرية "النص والتعيين" أو التشيع "الديني".

ويتحدث المؤرخون عن ثلاث فرق رئيسية من الزيدية الذين كانوا يشكلون امتدادا للتشيع العلوي "السياسي"، كلها تتبنى نظرية الشورى بشكل أو بآخر، وعلى رأسها الفرقة "البترية" و"الجارودية" و"السليمانية".

أما "البترية" فهم أصحاب كثير النوا، والحسن بن صالح بن حي (توفي سنة ١٦٨هـ) وسالم بن أبي حفصة (توفي سنة ١٣٧هـ) والحكم بن عتيبة (توفي سنة ١١٤ أو ١١٥ هـ)، وسلمة بن كهيل (توفي سنة١٢١هـ) وأبي المقدام ثابت الحداد، الذين كانوا يؤمنون بولاية علي ويجمعون بينها وبين ولاية أبي بكر وعمر، ولكنهم كانوا يفضلون عليا ويثبتون إمامة أبي بكر، ويرون الخروج مع كل ولد علي يذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويثبتون لمن خرج من ولد علي الإمامة عند خروجه، ولا يقصدون في الإمامة قصد رجل بعينه، حتى يخرج، وعندهم كل ولد علي على السواء من أي بطن كان[١٣].

وأما "السليمانية" فهم أتباع (سليمان بن جرير الرقي) الذي قال: إن الإمامة شورى وانها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة، وأجاز إمامة المفضول وأثبت إمامة أبي بكر وعمر، وزعم أن الأمة تركت الأصلح في البيعة لهما لأن عليا كان أولى بالإمامة منهما، إلا أن الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفرا ولا فسقا.

وأما "الجارودية" فهم أتباع (أبي الجارود زياد بن أبي زياد الهمذاني الكوفي) الذين كانوا ينفون وجود نص صريح على الإمام علي بالإمامة، ويقولون: "انه كان بالوصف دون التسمية". وقالوا نتيجة لذلك: إن إمامة علي بن أبي طالب ثابتة في الوقت الذي دعا الناس

واظهر أمره، ثم كان الحسين بعده إماما عند خروجه، ثم زيد بن علي..ثم من دعا إلى طاعة الله من آل محمد فهو إمام، وقد رفض الجارودية وعامة الزيدية حصر الإمامة في أولاد الحسين، واعتبروا من يقول ذلك خارجا عن الدين، وقالوا انها (شورى) في أولادهما جميعا، وان الإمامة صارت بعد الحسين باختيار أهل البيت وإجماعهم على رجل منهم ورضاهم به. وقد انقسموا فيما بعد إلى تيارات عديدة، وربما قال بعضهم بالنص على الأئمة الثلاثة الأوائل (علي والحسن والحسين) تأثرا بالإمامية، ولكنهم كانوا يبنون نظريتهم في الإمامة بصورة عامة، على أساس الشورى والتصدي والخروج (الثورة) وليس على أساس النص، وخاصة بعد الحسن والحسين[١٤].

والى جانب هؤلاء كان فريق آخر من الزيدية يُدعى "الحسينية" وهؤلاء كانوا يقولون أيضا: من دعا إلى الله عز وجل من آل محمد فهو مفترض الطاعة، وكان علي إماما في وقت ما دعا الناس وأظهر أمره، ثم كان بعده الحسين إماما عند خروجه، ثم زيد بن علي، ثم يحيى بن زيد، ثم عيسى بن زيد، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن، ثم من دعا إلى طاعة الله من آل محمد فهو إمام[١٥].

وحكى أبو الحسن الأشعري في مقالته، عن قوم من الزيدية يقال لهم "اليعقوبية" أتباع رجل اسمه يعقوب، أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ولكنهم لا يتبرأون ممن تبرأ منهما[١٦].

وفيما عدا "الجارودية" كان موقف الشيعة الزيدية بصورة عامة معتدلا ومعقولاً وأقرب الى التشيع العلوي "السياسي"، أي أنهم لم يكونوا يؤمنون بنظرية النص والوراثة وحصر العلم الديني في أهل البيت، فقد كانوا يقولون:" بأن العلم مبثوث مشترك فيهم وفي عوام الناس هم والعوام من الناس فيه سواء، فمن أخذ منهم علما لدين أو دنيا مما يحتاج إليه أو أخذه من غيرهم من العوام فموسع له ذلك، فان لم يوجد عندهم ولا عند غيرهم مما يحتاجون إليه من علم دينهم فجائز للناس الاجتهاد والاختيار والقول بآرائهم"[١٧].

وقد التف عامة الشيعة حول الإمام زيد بن علي، والتفوا من بعد زيد حول ابنه يحيى الذي قام بثورة أخرى ضد النظام الأموي سنة ١٢٥.. وبعد فشل هاتين الثورتين بثلاثة أعوام تفجرت ثورة شيعية أخرى واسعة بقيادة أحد الطالبيين: "عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار". وهي الثورة التي شاركت فيها جماهير الشيعة في مختلف مدن العراق

وامتدت إلى الماهين وهمذان وقومس واصبهان والري وفارس ـ وكان شعار الثورة: "إلى الرضا من آل محمد" دون تحديد في شخص معين، وهي دعوة عموم الشيعة في ذلك الحين، وقد اتخذ عبدالله بن معاوية من اصبهان مركزا لدعوته وحركته ومناطق نفوذه، وبعث إلى الهاشميين علويين وعباسيين يدعوهم إليه ليساهموا معه في إدارة البلاد التي سيطر عليها فقدم عليه منهم عدد كبير، وذلك قبل أن تنهار دولته أمام جيش أبي مسلم الخراساني.

والتف عامة الشيعة العلوية بعد ذلك حول محمد بن عبد الله بن الحسن ذي النفس الزكية. ولأن التشيع حينئذ كان "سياسيا" فقد انضم قادة المعتزلة كعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء إلى حركة الإمام ذي النفس الزكية، إمام الزيدية في وقته... وبناء على ذلك ذهب عمرو بن عبيد إلى جعفر الصادق وطلب منه الانضمام لبيعة النفس الزكية، وقال له:" قتل أهل الشام خليفتهم، وضرب الله بعضهم ببعض، وتشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلا له دين وعقل ومروّة ومعدن للخلافة، وهو محمد بن عبد الله بن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه، ثم نظهر أمرنا معه، وندعو الناس إليه، فمن بايعه كنا معه وكان منا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه، ونصبنا له على بغيه، ونرده إلى الحق وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك، فإنه لا غنى بنا عن مثلك لفضلك، ولكثرة شيعتك" فلما فرغ، قال أبو عبد الله: أخبرني يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها وولتك بغير قتال ولا مؤونة وقيل لك: ولّها من شئت، من كنت توليها؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين قال: بين المسلمين كلهم؟ قال: نعم، قال: بين فقهائهم وخيارهم؟ قال: نعم، قال: قريش وغيرهم؟ قال: نعم، قال: والعرب والعجم؟ قال: نعم[١٨].

لقد كان الفكر الشيعي العام يقوم على أساس الولاء السياسي لأئمة أهل البيت، وكان هؤلاء يعتقدون بحق الأمة الإسلامية في اختيار أئمتها، وبضرورة ممارسة الشورى، ويدينون الاستيلاء على السلطة بالقوة. ولم يكونوا يعرفون "التشيع الديني". ولعلنا نجد في الحديث الذي يرويه الشيخ الصدوق عن الإمام الرضا عن أبيه الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله والذي يقول فيه:" من جاءكم يريد أن يفرق الجماعة ويغصب الأمة أمرها ويتولى من غير مشورة فاقتلوه، فان الله عز وجل قد أذن ذلك"[١٩]. لعلنا نجد في هذا الحديث أفضل تعبير عن إيمان أهل البيت بالشورى والتزامهم بها.

المبحث الخامس

أئمة أهل البيت والعلم الالهي

وربما كانت الدعوة للتمسك بالقرآن ورفض القياس ونبذ الأحاديث الضعيفة علامة مميزة لمدرسة أهل البيت، وهي بحد ذاتها لا تنطوي على مشكلة كبيرة، ما عدا بعض الأمور التفصيلية التي كان يجادل فيها أصحاب مدرسة الرأي أو أهل الحديث، ولكن تلك الدعوة قادت إلى خطوة أخرى هي حصر عملية فهم القرآن بالأئمة المعينين من قبل الله فقط، ولسنا متأكدين بنسبة هذا القول إلى الباقر أو الصادق، ولكن الروايات التي ينقلها الإمامية عنهما تدعي أن الباقر قال:" إنما يعرف القرآن من خوطب به".[٢٠] وأنه قال:"إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي، منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وإن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد، وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله، أما إن محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين".[٢١] وقال:"إن عليا عليه السلام كان عالما والعلم يتوارث، ولن يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم علمه، أو ما شاء الله"[٢٢].

ويزعم الإمامية أن الباقر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي. وفسر قول الله عز وجل:" الله نور السموات والأرض" بأنه يقول: أنا هادي السماوات والأرض مثل العلم الذي أعطيته وهو نوري الذي يهتدى به مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد صلى الله عليه وآله والمصباح النور الذي فيه العلم وقوله: " المصباح في زجاجة " يقول: إني أريد أن أقبضك فأجعل الذي عندك عند الوصي كما يجعل المصباح في الزجاجة " كأنها كوكب دري" فأعلمهم فضل الوصي... وقوله عز وجل: "يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء" يقول: مثل أولادكم الذين يولدون منكم كمثل الزيت الذي يعصر من الزيتون.. يقول: يكادون أن يتكلموا بالنبوة ولو لم ينزل عليهم ملك[٢٣].

وأن الباقر اعتمد على "حديث الثقلين" في حصر العلم في أهل البيت[٢٤]. وأنه قال لسعد الإسكاف:"لا يزال كتاب الله والدليل منا يدل عليه حتى يردا عليَّ الحوض"[٢٥].

وينقل الإمامية عن الباقر أنه استنكر ترك الناس لأئمة أهل البيت وذهابهم إلى علماء

آخرين، قائلا: "يمصون الثماد (وهو الماء القليل) ويدعون النهر العظيم! قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله، إن الله عز وجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم وهلمَّ جرا إلى محمد صلى الله عليه وآله قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله صيَّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام"(٢٦).

ويروون: أن الباقر قال لفقيهين كانا في مكة هما سلمة بن كهيل، والحكم بن عتيبة: "شرِّقا وغرِّبا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت"(٢٧). أو "فليشرق الحكم وليغرب، أما والله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل"(٢٨). وأن الباقر سمع فتوى للحكم بن عتيبة يقول فيها بجواز شهادة ولد الزنا، فغضب وقال:" اللهم لا تغفر ذنبه. ما قال الله للحكم " إنه لذكر لك ولقومك" فليذهب الحكم يمينا وشمالا، فوالله لا يؤخذ العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام".(٢٩) وقال:"كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل"(٣٠).

ويروون أيضا عن الباقر أنه قال:" ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطاء منهم والصواب من علي عليه السلام".(٣١) وأنه أكد ذلك قائلا:" إنه ليس أحد عنده علم شئ إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاءوا، فوالله ليس الأمر إلا من هاهنا". وأشار بيده إلى بيته(٣٢).

ويقول الإمامية: إن الباقر أنكر على فقيه أهل البصرة قتادة بن دعامة، تفسيرَه للقرآن، وقال له عندما التقاه: " ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.. ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت.. ".(٣٣) وأن الباقر سأله عن تفسير قوله تعالى:" وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين" فقال قتادة: أي من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله، فرفض الباقر هذا التفسير وقال له:"إنه من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفا بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل:"واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم" ولم يعنِ البيت فيقول: "إليه" ثم قال الباقر بعد ذلك: " فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التي من هوانا قلبُه قُبلت حجته وإلا

فلا.. يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة"[٣٤].

وكانت دعوى حصر العلم في أهل البيت، في البداية، تقوم على ادعاء امتلاك الإمام الباقر لكتب خاصة بخط علي، كان يعبر عنها أحيانا بكتاب علي أو مصحف فاطمة أو الجفر أو الجامعة، كما جاء عن محمد بن مسلم وزرارة بن أعين عن الباقر أنه كان يفتي بناء على تلك الكتب التي قال عنها: " إنها إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي من فيه بيده"[٣٥]. أو أنه كان يفتي بناء على رواية الحديث عن أبيه عن جده " أن أمير المؤمنين حدثه ذلك".[٣٦] وبالرغم من أن دعوى (امتلاك الباقر لكتب خاصة) لم تكن تشكل حجة حاسمة ضد من يرفض الاعتماد على روايته عن آبائه، غير أنها كانت دعوى معقولة ومقبولة إلى درجة كبيرة.[٣٧] ولكن تلك الدعوى تطورت فيما بعد لتتركز على ذات الأئمة الذين يمتلكون علما خاصا من الله، ويقومون بدور "الحجة" على العباد، كما نقل الشيعة الإمامية عن الباقر أنه قال:"والله ما ترك الله أرضا منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده".[٣٨] و"إن الأرض لا تخلو من حجة وأنا والله ذلك الحجة".[٣٩] وأنه قال:" والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه".[٤٠] وقال:"نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض".[٤١] و"إنا - أهل البيت - شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم.[٤٢] و"نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سر الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله، فمن وفي بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده"[٤٣].

وعن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر يقول:" قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية علي والأوصياء من بعدك، فإن فيهم سنتك وسنة الأنبياء من قبلك، وهم خزاني على علمي من بعدك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أنبأني جبرئيل عليه السلام بأسمائهم وأسماء آبائهم"[٤٤].

وروى أبو حمزة عن أبي جعفر قال: "لما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله نبوته واستكملت أيامه

أوحى الله إليه يا محمد صلى الله عليه وآله قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والآثار والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة في أهل بيتك عند على بن أبي طالب فإني لم أقطع علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم اقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم"(٤٥).

ونقل الإمامية عن محمد الباقر حديثا حول كيفية علم الأئمة، وأنه قال: "نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله برمانتين من الجنة، فلقيه علي عليه السلام فقال: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك؟ فقال: أما هذه فالنبوة، ليس لك فيها نصيب، وأما هذه فالعلم، ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه وآله بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله نصفها ثم قال: أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه، قال: فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وآله حرفا مما علمه الله عز وجل إلا وقد علمه عليا، ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره"(٤٦).

ورووا أن الباقر فسر قول الله عز وجل: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" بأهل البيت، وقال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الذكر أنا والأئمة أهل الذكر" كما فسر قوله عز وجل: "وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون" بقوله:"نحن قومه ونحن المسؤولون"(٤٧).

وقال محمد بن مسلم، أنه قال للباقر: إن مَن عندنا يزعمون أن قول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أنهم اليهود والنصارى، فقال الباقر:" إذاً يدعونكم إلى دينهم! - وأومأ بيده إلى صدره وقال - نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون"(٤٨).

وروى أبو بصير عن الباقر أنه فسر آية "بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم" بأنها تعني الأئمة، وذكر أنه أومأ بيده إلى صدره(٤٩) ثم قال: أما والله يا أبا محمد ما قال بين دفتي المصحف؟ قلت:من هم؟ جعلت فداك. قال: من عسى أن يكونوا غيرنا؟(٥٠) وقال: "إن هذا العلم انتهى إليّ في القرآن"(٥١).

وروى جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر في تفسير قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ بأنه قال:" إنما نحن الذين يعلمون والذين لا يعلمون عدونا، وشيعتنا أولو الألباب".(٥٢) وأنه فسر قول الله عز وجل: " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" بأئمة أهل البيت، وقال:"رسول الله صلى الله عليه وآله وآله أفضل الراسخين في

العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه"(٥٣). وأنه قال: "إن النبي فسر القرآن لرجل واحد هو الإمام علي، وإن القرآن لن يكفي الأجيال التالية إلا إذا وجد "المفسِّر"(٥٤). وفسر قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ بأنها تعني: الأئمة من أهل البيت، وقال: "إيّانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله"(٥٥). وأنه حصر علم القرآن بأئمة أهل البيت وقال: "إنما على الناس أن يقرؤوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فالاهتداء بنا وإلينا!"(٥٦).

وروى الإمامية عن الباقر أن الأئمة هم "ورثة الكتاب" الذين ذكرهم الله في قوله:" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا " حيث فسر العباد بـ: "ولد فاطمة عليها السلام والسابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام"(٥٧). والأئمة هم الذين آتاهم الله الكتاب، وذكرهم في هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ حيث قال:" هم الأئمة عليهم السلام"(٥٨).

ونقلوا عن الباقر أنه قال: إن "تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، تعرفه الأئمة عليهم السلام".(٥٩) و"ما من القرآن آية، إلا ولها ظهر وبطن، ظهره تنزيله وبطنه تأويله، ومنه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر، كل ما جاء تأويل شيء يكون على الأموات، كما يكون على الأحياء... نحن نعلمه"(٦٠).

وفي هذا يقول جابر بن يزيد الجعفي:" سألت أبا جعفر عن شيء من التفسير، فأجابني، ثم سألته عنه ثانية، فأجابني بجواب آخر، فقلت: كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا، فقال: يا جابر! إن للقرآن بطنا وللبطن بطنا وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر! وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، وإنّ الآية يكون أولها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصل متصرف على وجوه"(٦١).

وبالإضافة إلى حصر علم الكتاب كله عند الأئمة، تقول روايات أخرى أن الإمام

الباقر كان يدعي امتلاك النسخة الكاملة من القرآن، حيث قال: " ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام"(٦٢) و"ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء"(٦٣).

ولسنا نعرف مدى صحة هذه الروايات وفيما إذا كانت صادرة فعلا عن الإمام الباقر أم أنها منسوبة إليه كذبا، وإن كنا نؤيد الاحتمال الثاني، ولكنها - على أية حال - تؤسس لدعوى امتلاك الإمام وحده لعلم الكتاب، والقدرة على تفسيره وتأويله، وتؤدي إلى تحويل أئمة أهل البيت إلى "مصدر تشريعي" جديد إلى جانب القرآن والسنة النبوية. كما في رواية عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عزّ وجل: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾؟ فقال:" يا أبا خالد.. النور - والله - الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض".(٦٤) وقال في تفسير قوله تعالى:"ويجعل لكم نوراً تمشون به":"يعني إماما تأتمون به".(٦٥) وما ورد في رواية أخرى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ قال: "النور في هذا الموضع علي أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام"(٦٦).

المبحث السادس

العلم الالهي للامام الباقر عليه السلام

وفي السياق نفسه، نجد في التراث الشيعي "الإمامي" روايات عديدة عن أبي جعفر الباقر تتحدث عن الأئمة الذين تحدثهم الملائكة، ومع شكنا بصحتها، نرى أنها تشكل امتداداً لنظرية "الإمامة الإلهية"، أو مرحلة من مراحل تطورها، بعد القول بالحاجة إلى الإمام "الحجة" الذي يمتلك وحده القرآن الكامل الصحيح، والذي يمتلك وحده أيضا علم الكتاب، والقدرة على تفسيره وتأويله، وعلم الغيب واسم الله الأعظم. ولما كانت نظرية "الإمامة" تقول بأن الأئمة معينون من قبل الله، وأن علمهم إلهيٌ، فلم تجد مانعا من ادعاء تحديث الملائكة للأئمة مع تأكيدها على نفي كون الأئمة أنبياء تحاشيا للخروج عن ضروريات الدين الإسلامي. فقد روى الكليني عن الإمام الباقر أنه قال:"إن علم ما لا

اختلاف فيه عند الأوصياء، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرى، لأنه كان نبيا وهم محدَّثون، وأنه كان يفد إلى الله (عز وجل) فيسمع الوحي وهم لا يسمعون". وقال:" إن الله عز وجل يقول لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ - إلى آخرها - فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم من العلم - شيئا لا يعلمه - في تلك الليلة أو يأتيه به جبرئيل عليه السلام في غيرها؟" ثم قال:"ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم". وتساءل: من الراسخون في العلم؟ ثم أجاب: إنهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله المؤيدون، ولا يستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله إلا من يحكم بحكمه وإلا من يكون مثله إلا النبوة، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلف في علمه أحدا فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده"(٦٧).

وحسبما يروي الكليني فإن الباقر رفض أن يكون علم النبي مقتصرا على القرآن، واستشهد بهذه الآية: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة، إنا كنا منذرين، فيها يُفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين" فقال:"إن هذا الأمر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من السماء إلى الأرض، ولا بد لهم من سيد يتحاكمون إليه... لعمري ما في الأرض ولا في السماء وليٌّ لله عز ذكره إلا وهو مؤيد، ومن أُيِّد لم يُخطِ، وما في الأرض عدوٌ لله عز ذكره إلا وهو مخذول، ومن خُذل لم يُصب، كما أن الأمر لا بد من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لابد من والٍ... أبى الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وآله أن يترك العباد ولا حجة عليهم". وأنه قال:" إن القرآن ليس بناطق يأمر وينهى، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة، ما هي في السنة والحكم الذي ليس فيه اختلاف، وليست في القرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض، وليس في حكمه راد لها ومفرج عن أهلها"(٦٨).

وروى الكليني عن الباقر أنه قال في تفسير آية:"فيها يفرق كل أمر حكيم": "إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله (عز وجل) الخاص والمكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر".(٦٩) وروى عن الباقر عن علي بن أبي طالب أنه قال:"إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة وإن لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله"(٧٠). و"إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: تكون ليلة

القدر بعدى ينزل الأمر فيها إلى علي"[٧١].

ويبدو من خلال مجموعة من الروايات المنسوبة إلى الإمام الباقر أنه اعتمد كثيرا على موضوع نزول الملائكة ليلة القدر، فقال:" يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه، تفلحوا، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا.. يا معشر الشيعة خاصموا بـ ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله".[٧٢] وقال: "فضل إيمان المؤمن بحمله " إنا أنزلنا " وبتفسيرها على من ليس مثله في الإيمان بها، كفضل الإنسان على البهائم"[٧٣].

وكل تلك الروايات تصب في فكرة واحدة هي:"الوصي المحدَّث" وضرورة وجوده واستمراره إلى يوم القيامة، كما كان يقول الكيسانية في المختار أو ابن الحنفية، ولذا نحتمل كثيرا أن يكون بقايا الكيسانية هم الذين اختلقوا هذه الروايات ونسبوها إلى الإمام الباقر، الذي رووا عنه أنه قال:" لقد خلق الله جل ذكره ليلة القدر أول ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أول نبي يكون، وأول وصي يكون، ولقد قضى أن يكون في كل سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة، من جحد ذلك فقد رد على الله (عز وجل) علمه، لأنه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدَّثون إلا أن تكون عليهم حجة بما يأتيهم في تلك الليلة، مع الحجة التي يأتيهم بها جبرئيل عليه السلام". وقال في جواب سؤال عن نزول الملائكة على المحدَّثين: "أما الأنبياء والرسل صلى الله عليهم فلا شك، ولا بد لمن سواهم من أول يوم خلقت فيه الأرض إلى آخر فناء الدنيا أن تكون على أهل الأرض حجة ينزل ذلك في تلك الليلة إلى من أحب من عباده.. وأيم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر في ليلة القدر على آدم، وأيم الله ما مات آدم إلا وله وصي، وكل من بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها، ووضع لوصيه من بعده.. وأيم الله إن كان النبي ليؤمر فيما يأتيه، من الأمر في تلك الليلة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله أن أوصى إلى فلان، ولقد قال الله عز وجل في كتابه لولاة الأمر من بعد محمد صلى الله عليه وآله خاصة: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم – إلى قوله – فأولئك هم الفاسقون" يقول: أستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلف وصاة آدم من بعده حتى يبعث النبي الذي يليه "يعبدونني لا يشركون بي شيئا" يقول: يعبدونني بإيمان لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن قال غير ذلك "فأولئك هم الفاسقون"

فقد مكن ولاة الأمر بعد محمد بالعلم، و نحن هم، فاسألونا، فإن صدقناكم فأقروا وما أنتم بفاعلين. أما علمنا فظاهر، وأما إبان أجلنا الذي يظهر فيه الدين منا حتى لا يكون بين الناس اختلاف، فإن له أجلا من ممر الليالي والأيام، إذا أتى ظهر، وكان الأمر واحدا.. وأيم الله لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد صلى الله عليه وآله علينا، ولنشهد على شيعتنا، ولتشهد شيعتنا على الناس، أبى الله عز وجل أن يكون في حكمه اختلاف، أو بين أهل علمه تناقض"(٧٤).

وزعموا أنه قال أيضاً: " إن الملائكة تزور ولي الأمر في كل يوم وليلة، حتى إذا أتت ليلة القدر، فيهبط فيها من الملائكة إلى ولي الأمر، خلق الله... وأيم الله إن من صدق بليلة القدر، ليعلم أنها لنا خاصة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين دنا موته: هذا وليكم من بعدي، فان أطعتموه رشدتم، ولكن من لا يؤمن بما في ليلة القدر منكر، ومن آمن بليلة القدر ممن على غير رأينا فانه لا يسعه في الصدق إلا أن يقول، إنها لنا ومن لم يقل فانه كاذب، إن الله عز وجل أعظم من أن ينزل الأمر مع الروح والملائكة إلى كافر فاسق، فان قال: إنه ينزل إلى الخليفة الذي هو عليها فليس قولهم ذلك بشيء، وإن قالوا: إنه ليس ينزل إلى أحد فلا يكون أن ينزل شئ إلى غير شئ وإن قالوا - وسيقولون -: ليس هذا بشيء، فقد ضلوا ضلالا بعيدا"(٧٥).

وحسب الروايات التي ينقلها الكليني فقد وضع الباقر الأئمةَ في مصاف الملائكة والأنبياء والرسل في تلقي العلم من الله: "فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا"(٧٦). وأطلق على "الأئمة" صفة "المحدَّثين" أي الذين تحدثهم الملائكة، وأنه أضاف كلمة "المحدَّث" إلى هذه الآية: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدَّث)"(٧٧).

وتزعم بعض الروايات أن الباقر اخترع دعوى "المحدَّث" مما ولد صدمة في صفوف شيعته، ولدى أقرب المقربين إليه وهو عمه (عبد الله بن زيد، أخو الإمام علي بن الحسين لأمه) الذي استنكر حكاية "المحدَّث" وقال: سبحان الله ؟! كأنه ينكر ذلك، فأقبل عليه أبو جعفر فقال: أما والله إن ابن أمك بعدُ قد كان يعرف ذلك.(٧٨) وأثارت تلك الدعوى تساؤلا عند الشيعة عن احتمال كون ما يدعي "المحدَّث" أنه يسمعه: من وحي الشيطان؟ وكيف يعرف بأنه ملك؟ فكان الرد عليهم: أنه "يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك"(٧٩).

وصدمت تلك الدعوى كذلك أقرب شيعة الباقر إليه: حمران بن أعين، الذي سمعه يقول "بأن عليا كان محدَّثا" فخرج إلى أصحابه يقول: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقال: سمعت أبا جعفر يقول: كان علي محدَّثا. فقالوا له ما صنعت شيئا ألا سألته من يحدثه" فعاد فسأل أبا جعفر فقال له: يحدثه ملك، فقال حمران: أقول إنه نبي أو رسول؟ قال: لا، بل مثله مثل صاحب سليمان ومثل صاحب موسى ومثله مثل ذوى القرنين.[٨٠] وقرأ الباقر هذه الآية هكذا "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث". ويكمل حمران الرواية فيقول إنه ذهب وأخبر الحكم بن عيينة بالخبر، مما أزعج الباقر فلامه وقال له:"لِمَ حدثت الحكم بن عيينة عني أن الأوصياء محدَّثون؟ لا تحدثه وأشباهه بمثل هذا الحديث"[٨١].

ويزعم أبو حمزة الثمالي والمغيرة بن سعيد (الذي تنبأ فيما بعد)[٨٢] أن الباقر قال لهما:"وجدنا علم علي في آية من كتاب الله "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث" فقالا له: ليست هكذا هي، فقال في كتاب علي "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" فقال أبو حمزة: وأي شئ المحدَّث؟ فقال: ينكت في أذنه فيسمع طنينا كطنين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعا كوقع السلسلة على الطست"[٨٣].

ولم يكتفِ بعض الرواة بدعوى نزول الملائكة على الأئمة، وإنما أضافوا إليها دعوى صعود أرواح "الأوصياء" إلى السماء لطلب المزيد من العلم، كما في حديث أبي يحيى الصنعاني، الذي يدعي صعود روح الوصي كل ليلة جمعة مع أرواح الأنبياء والأوصياء الموتى إلى السماء وطوافها بالعرش... إلى أن يقول: "ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير".[٨٤] أو " فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا"[٨٥].

وبالرغم من محاولة بعض الأحاديث التفريق بين النبي و "المحدَّث" ونفي النبوة عن الأئمة، إلا أن تلك المقولة أحدثت اضطرابا كبيرا لدى الشيعة الذين أخذوا يتوافدون على الباقر ويسألونه عن هذه الدعوى العجيبة الغريبة: هل هي النبوة؟ ويزعم حمران بن أعين: أنه سأل أبا جعفر، بعدما أخبره بحديث الملك للإمام: تقول إنه نبي؟ قال: فحرك يده – هكذا –: أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أنه قال: وفيكم مثله[٨٦].

ويقول الحارث بن المغيرة إنه سأل الباقر نفس السؤال وأجابه بنفس الجواب[٨٧].

ودخل بريد بن معاوية على الباقر فسأله: ما منزلتكم؟ ومَن تشبهون ممن مضى؟ فأجابه: صاحب موسى وذو القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيين(٨٨).

وتكشف بعض الأحاديث عن محاورات جرت بين بعض الشيعة والباقر حول موضوع "المحدَّث" وتساؤلات لهم عن تفوق علم الأئمة على علم النبي في حالة نزول الملائكة على الأئمة، كما في رواية زرارة بن أعين الذي يقول إنه سمع أبا جعفر يقول:"لولا أنا نزداد لأنفدنا" فسأله: تزدادون شيئا لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟! وأن الباقر قال له: "أما إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا"(٨٩).

وتقول إحدى الروايات التي ينقلها الكليني إن رجلاً (يبدو أنه شيعي) جاء إلى الإمام الباقر، وأجرى معه حوارا مهما جدا حول موضوع "المحدَّث"، وابتدأ حديثه بالقول:

- يا ابن رسول الله لا تغضب علي؟. قال: لماذا؟ قال: لما أريد أن أسألك عنه، قال: قل، قال: ولا تغضب؟ قال: ولا أغضب. قال:

- أَرأيت قولك في ليلة القدر، وتنزل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء، يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله قد علمه؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله علمه؟ وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وليس من علمه شئ إلا وعلي عليه السلام له واع. قال أبو جعفر:

- مالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك علي؟ قال:

- أدخلني عليك القضاء لطلب الدين، قال:

- فافهم ما أقول لك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جل ذكره علم ما قد كان وما سيكون، وكان كثير من علمه ذلك جملا يأتي تفسيرها في ليلة القدر، وكذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام قد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر، كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال السائل:

- أو ما كان في الجُمل تفسير؟ قال:

- بلى، ولكنه إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء: افعل كذا وكذا، لأمر قد كانوا علموه، أمروا كيف يعملون فيه، قال:

- فسر لي هذا، قال:

- لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا حافظا لجمله وتفسيره، قال:

- فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علمُ ما هو؟ قال:

- الأمر واليسر فيما كان قد علم، قال السائل:

- فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا؟ قال:

- هذا مما أمروا بكتمانه، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل. قال السائل:

- فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟ قال:

- لا، وكيف يعلم وصي غير علم ما أوصي إليه. قال السائل:

- فهل يسعنا أن نقول: إن أحداً من الوصاة (الأوصياء) يعلم ما لا يعلم الآخر؟ قال:

- لا، لم يمت نبي إلا وعلمه في جوف وصيه، وإنما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد. قال السائل:

- و ما كانوا علموا ذلك الحكم؟ قال:

- بلى قد علموه ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شئ منه حتى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة. قال السائل:

- يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا؟ قال أبو جعفر:

- من أنكره فليس منا. قال السائل:

- يا أبا جعفر أرأيت النبي صلى الله عليه وآله هل كان يأتيه في ليالي القدر شئ لم يكن علمه؟ قال:

- لا يحل لك أن تسأل عن هذا، أما علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبي ولا وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه، أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبى أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم. قال السائل:

- يا ابن رسول الله كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة؟ قال:

- إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الذي سألت عنه.(٩٠)

المبحث السابع

الامام الباقر عليه السلام وحديث الولاية

وحسبما يقول الإمامية، فإن أبا جعفر اختصر أمر الولاية بكلمة فقال:" إن الله عز وجل نصب عليا علما بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن نصب معه شيئا كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة"(٩١). وأنه قال: "إن عليا عليه السلام باب فتحه الله، فمن دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله تبارك وتعالى: لي فيهم المشيئة"(٩٢).

وزعموا بأن الباقر عزا مسألة الولاية والقبول بها إلى عوامل جينية تعود للطينة التي خلق منها الإنسان في عالم الذر (وهو كما يقال: عالم مثالي قبل عالم الأرض) فقال: "إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر، يوم أخذ الميثاق على الذر، بالإقرار له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة وعرض الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله أمته في الطين وهم أظلة وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم عليه وعرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفهم عليا ونحن نعرفهم في لحن القول"(٩٣).

ورووا عن الباقر اعتباره الولاية لأهل البيت مرادفة لأركان الإسلام، وأنه قال: "بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية".(٩٤) وفي رواية أخرى:" فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه، يعني الولاية". (٩٥) وإن "الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن". وإن " ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء و رضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا". أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته"(٩٦).

وقال سالم الحناط: إن الباقر فسر قول الله تبارك وتعالى: " نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" بأن قال: هي الولاية لأمير المؤمنين.[٩٧] كما شرح قول الله عز وجل: " ولو أنهم أقاموا التوراة و الإنجيل وما انزل إليهم من ربهم" فقال: الولاية[٩٨].

وذهب بعض الرواة بعيدا فقالوا إن الباقر أخبر شيعته بولاء الملائكة لأهل البيت فقال: "والله إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم وإنهم ليدينون بولايتنا"[٩٩].

المبحث الثامن

نظرية الامامة الالهية عند الامام الباقر عليه السلام

١ـ الولاء الديني:

أحدثت نظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت" تطورا كبيرا في بنية الحركة الشيعية، التي تحولت من حزب سياسي سابق يلتف حول أئمة أهل البيت منذ أيام الإمام علي والحسن والحسين، ويعمل من أجل الإصلاح في الأمة الإسلامية ونشر الحق والعدالة لعموم المسلمين، إلى طائفة منغلقة على نفسها، ومنفصلة عن بقية المسلمين.

فقد أدى رفع أمر "الإمامة" إلى مستوى العقيدة والعبادات الضرورية في الإسلام، إلى اعتبار "الولاء" للأئمة الحسينيين، شرطا للهدى والتقوى والإخلاص، واتهام من لا يؤمن بولايتهم بالضلال والشرك، ورسم صورة سلبية "لأعداء" أئمة أهل البيت وشيعتهم، وخصومهم.[١٠٠] ونسب الإماميون إلى الصادق حديثا يعرِّف الإسلام والإيمان، والفرق بينهما، يقول فيه:" الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام، والإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فان أقرَّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلما وكان ضالا"[١٠١]. ورووا عنه حديثا يقول فيه:" لكل شئ أساس؛ وأساس الإسلام حبنا أهل البيت"[١٠٢].

وروى الإمامية عن الباقر والصادق روايات عديدة عن النبي الأكرم باعتبار من يحب

عليا ويعرفه ويطيعه ويدخل بابه: مؤمنا، ومن يرفضه أو يجهله أو يحاربه: كافرا[١٠٣]. ونسبوا إلى الصادق اعتباره كل من نصب شيئا (أو شخصا) دون أهل البيت فهو ممن يعبد الله على حرف[١٠٤]. وأنه قال:" أُمِرَ الناس بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا. وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا كانوا بذلك مشركين"[١٠٥].

وانطلاقا من اعتبار الولاء لأهل البيت إيمانا، ومخالفتهم كفرا، فقد اتخذ الفكر "الإمامي" موقفا سلبيا من الصحابة الذين لم يتبعوا عليا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، ونقل الكليني عن أبي جعفر أنه قال:" ذهب المهاجرون والأنصار إلا ثلاثة".[١٠٦] أو "كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة.. المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري و سلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف أناس بعد يسير. هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى وأبوا أن يبايعوا حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع"[١٠٧]. وروى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال:" من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر"[١٠٨]. وأنه قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيبا"[١٠٩]. وأنه اعتبر من ينكر أحد الأئمة كمن أنكر معرفة الله (تبارك وتعالى) ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله[١١٠].

ويدعي الحارث بن المغيرة أنه سمع عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله، فلم يزل يسائله حتى قال: فهلك الناس إذاً، قال: إي والله يا ابن أعين فهلك الناس أجمعون قلت: من في المشرق ومن في المغرب؟ قال: إنها فتحت بضلال، إي والله لهلكوا إلا ثلاثة[١١١].

ومن هنا اعتبر الإماميون عدم بيعة الصحابة للإمام علي مباشرة بعد النبي صلى الله عليه وآله نوعا من الردة[١١٢]. وزعم أبو بصير أن الصادق قرأ هذه الآية هكذا: " فستعلمون من هو في ضلال مبين، يا معشر المكذبين حيث أنبأتكم رسالة ربي في ولاية علي عليه السلام و الأئمة عليهم السلام من بعده، من هو في ضلال مبين". وقال: كذا أنزلت[١١٣].

وروى الإمامية عن الباقر أنه قال:" كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها... ومن أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل ظاهرا عادلا أصبح ضالا تائها وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، وإن أئمة الجور وأتباعهم

لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد"(١١٤).

كما رووا عن الصادق أنه قال:" إن الله لا يستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام ليس من الله وإن كانت في أعمالها برة تقية، وإن الله ليستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة"(١١٥). ونقل الكليني عن عبد الله بن أبي يعفور أنه قال للصادق: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟ فاستوى أبوعبدالله جالسا وأقبل عليه كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، فتعجب ابن أبي يعفور قائلا: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء، ثم قال: ألا تسمع لقول الله عز وجل: " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله، وقال: " والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات " إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله عزّ وجل خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار من الكفار، ف" أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون"(١١٦).

ويتحدث الإمامية عن تشكيك بعض الشيعة كفضيل بن يسار بحديث "من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية" المنسوب إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأنه سأل الصادق متعجباً: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال أبو عبد الله: إي والله قد قال، قال فضيل: فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟! قال: نعم.(١١٧) وأن عبد الله ابن أبي يعفور لم يهضم الحديث أيضا فذهب إلى الصادق وسأله عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: "من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية" هل هي ميتة كفر؟ فقال أبو عبد الله: ميتة ضلال، فأعاد ابن أبي يعفور السؤال بتعجب: فمن مات اليوم وليس له إمام، فميتته ميتة جاهلية؟ فقال: نعم(١١٨). وأن الحارث بن المغيرة كذلك حاول التأكد من صحة الحديث الآنف المنسوب إلى رسول الله، فقال لأبي عبد الله:" من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟" قال: نعم، قال: جاهلية

جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال:"جاهلية كفر ونفاق وضلال"[١١٩].

٢ـ المقاطعة السياسية:

وقد أدى تكفير أئمة المخالفين، وأتباعهم، ولعنهم والحكم بضلالهم، إلى موقف سلبي آخر، هو الفصل الاجتماعي والسياسي بين الشيعة "الإمامية" وغيرهم من المسلمين المخالفين، حيث قام "الإمامية" برواية رسالة خاصة زعموا أن الصادق وجهها للشيعة وقال فيها:"أحبوا في الله من وصف صفتكم وأبغضوا في الله من خالفكم وابذلوا مودتكم ونصيحتكم لمن وصف صفتكم ولا تبتذلوها لمن رغب عن صفتكم وعاداكم عليها وبغى لكم الغوائل"[١٢٠]. وأنه قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس مجلسا ينتقص فيه إمام أو يعاب فيه مؤمن"[١٢١]. وقال:" إذا ابتليت بأهل النصب ومجالستهم فكن كأنك على الرضف (الحجارة الساخنة) حتى تقوم فإن الله يمقتهم ويلعنهم فإذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الأئمة فقم فإن سخط الله ينزل هناك عليهم[١٢٢].

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن يدعو الفكر الإمامي إلى مقاطعة الأنظمة الحاكمة، وأن يروي عن الباقر النهي عن الدخول في أعمال الحكام المخالفين:" ولا مَدة قلم. إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينه مثله"[١٢٣]. وأن يفسر الصادق قول الله عز وجل: "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار" بقوله: هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى أن يدخل يده إلى كيسه فيعطيه.[١٢٤] ويحذر أصحابه قائلا: "اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقووه بالتقية والاستغناء بالله عز وجل إنه من خضع لصاحب سلطان ولمن يخالفه على دينه طلبا لما في يديه من دنياه أخمله الله عز وجل ومقته عليه ووكله إليه، فإن هو غلب على شئ من دنياه فصار إليه منه شئ نزع الله عز وجل اسمه البركة منه ولم يأجره على شئ ينفقه في حج ولا عتق ولا بر"[١٢٥]. وأن ينهى فضيل بن عياض عن التكسب مع الحكام، ويقول له:" والله لضرر هؤلاء على هذه الأمة أشد من ضرر الترك والديلم" ويبين له صفة الورع من الناس ويقول:" الذي يتورع عن محارم الله عز وجل، ويجتب هؤلاء، وإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه، وإذا رأى المنكر فلم ينكره وهو يقدر عليه فقد أحب أن يعصى الله عز وجل ومن أحب يعصى الله فقد بارز الله عز وجل بالعداوة، ومن أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله إن الله تعالى حمد نفسه على هلاك الظالمين

فقال: " فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين"(١٢٦).

وعندما قال للصادق رجل من أصحابه: أصلحك الله إنه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة فيدعا إلى البناء يبنيه أو النهر يكريه أو المسناة يصلحها فما تقول في ذلك؟ قال أبو عبد الله:" ما أحب أني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء، وإن لي ما بين لابتيها، لا ولا مدة بقلم، إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد"(١٢٧).

وسمع الصادق ذات يوم أن المنصور قد حبس مجموعة من الشيعة، فسأل عن السبب قائلا: ما لهم وما له؟ فقيل له: استعملهم فحبسهم، فقال أبو عبد الله: ألم أنههم؟!.. ألم أنههم؟!.. ألم أنههم؟!.. هم النار، هم النار، هم النار. (١٢٨).

وقد ذكر عند أبي عبد الله، رجل من هذه العصابة (الشيعة) قد ولى ولاية، فقال: كيف صنيعته إلى إخوانه؟ فقيل: ليس عنده خير، فقال: أف.. يدخلون فيما لا ينبغي لهم ولا يصنعون إلى إخوانهم خيرا(١٢٩).

ويقول زياد ابن أبي سلمة: دخلت على أبي الحسن موسى (بن جعفر) فقال لي: يا زياد إنك لتعمل عمل السلطان؟ قال: قلت: أجل، قال لي: ولم؟ قلت: أنا رجل لي مروة وعلي عيال و ليس وراء ظهري شئ فقال لي: يا زياد لئن أسقط من جالق (اسم جبل) فأتقطع قطعة قطعة أحب إلي من أن أتولى لأحد منهم عملا أو أطأ بساط أحدهم.. إلا لماذا؟ قلت: لا أدري جعلت فداك، فقال: إلا لتفريج كربة عن مؤمن أو فك أسره أو قضاء دينه، يا زياد إن أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملا أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق، يا زياد فإن وليت شيئا من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة والله من وراء ذلك. يا زياد أيما رجل منكم تولى لأحد منهم عملا ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له: أنت منتحل (للتشيع) كذاب، يا زياد إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله عليك غداً ونفاد ما أتيت إليهم عنهم، وبقاء ما أتيت إليهم عليك(١٣٠).

وعن علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن: ما تقول في أعمال هؤلاء؟ قال: إن كنت لا بد فاعلا فاتقِ أموال الشيعة، فكان ابن يقطين يجبيها من الشيعة علانية ويردها عليهم في السر(١٣١).

٣ـ المقاطعة الاجتماعية.

وإذا كانت مقاطعة الظالمين مفهومة ومعروفة عن أئمة أهل البيت، فإن الإمامية رووا عنهم روايات أخرى تأمر بمقاطعة المخالفين اجتماعيا، ونقلوا عن أبي عبد الله أنه حذر من مجالسة أهل المعاصي والبدع، فقال: "لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه".(١٣٢) وأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:": إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة"(١٣٣).

وروى الكليني أحاديث تأمر بمقاطعة المخالفين، وقال في رواية: إن قوما من أهل خراسان من وراء النهر أتوا أبا عبد الله فقال لهم: تصافحون أهل بلادكم وتناكحونهم؟ أما إنكم إذا صافحتموهم انقطعت عروة من عرى الإسلام وإذا ناكحتموهم انهتك الحجاب بينكم وبين الله عزّ وجل(١٣٤).

وزعم الإمامية أن أبا عبد الله كره سؤر ولد الزنا وسؤر اليهودي والنصراني والمشرك وكل ما خالف الإسلام وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب(١٣٥). وأنه قال: "لا تغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمام فإن فيها غسالة ولد الزنا وهو لا يطهر إلى سبعة آباء، وفيها غسالة الناصب وهو شرهما، إن الله لم يخلق خلقا شرا من الكلب وإن الناصب أهون على الله من الكلب"(١٣٦).

ونتيجة لقرار الإمامية مقاطعة المخالفين اجتماعيا فقد قاموا بمقاطعتهم في الصلوات والعبادات، وتحريم صلاة الجماعة خلفهم الا للتقية(١٣٧).

وقد أدى موقف المقاطعة الاجتماعية ببعض الإمامية إلى تحريم الزواج بين الطرفين. خلافا لموقف أهل البيت، كما يبدو من موقف زرارة بن أعين الذي ابتدأ أو ابتدع هذا الموقف السلبي في أيام الباقر بالرغم من محاولة الإمام التخفيف منه(١٣٨). وكذلك بالرغم من رأي الإمام الصادق الذي قال له:" أما إنك إن كبرت رجعت وتحللت عنك عقدك"(١٣٩).

وفي محاولة من زرارة لتأييد موقفه الرافض من التزاوج مع غير الشيعة، روى حديثا عن

أبي عبد الله في تزويج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من عمر بن الخطاب، أنه قال: "إن ذلك فرجٌ غُصبناه"[١٤٠]. حيث كان تفسير زواج أم كلثوم من عمر، وتبريره بالاغتصاب والإكراه، ضروريا لتمرير موقف المقاطعة الاجتماعية وتحريم الزواج من المخالفين عند الإمامية في ذلك الوقت، وهكذا نسب الإمامية المتطرفون مجموعة روايات إلى الصادق بهذا المضمون، فزعموا أنه قال: "لا يتزوج المؤمن الناصبة المعروفة بذلك"[١٤١]. وقال:" لا يزوج المؤمن الناصبة ولا يتزوج الناصب المؤمنة ولا يتزوج المستضعف مؤمنه"[١٤٢]. وأنه قال لأبي بصير، وزرارة: "تزوجوا في الشكاك ولا تزوجوهم لأن المرأة تأخذ من أدب زوجها ويقهرها على دينه"[١٤٣].

وعن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله: إن لامرأتي أختا عارفة على رأينا وليس على رأينا بالبصرة إلا قليل فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟ قال: لا ولا نعمة ولا كرامة.. إن الله عز وجل يقول: "فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن"[١٤٤].

وذهب الإمامية، حسب بعض الروايات، إلى تفضيل زواج اليهودية والنصرانية على الناصبية، كما عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله قال: سأله أبي وأنا أسمع عن نكاح اليهودية والنصرانية فقال: "نكاحهما أحب إلي من نكاح الناصبية، وما أحب للرجل المسلم أن يتزوج اليهودية ولا النصرانية مخافة أن يتهود ولده أو يتنصر".[١٤٥] وأنه قال: "تزوج اليهودية والنصرانية أفضل - أو قال: خير - من تزوج الناصب والناصبية"[١٤٦].

وامتدت المقاطعة الاجتماعية من الحياة إلى الوفاة، فنقل الإمامية عن الصادق أنه رفض الصلاة على جنائز المخالفين، وإذا ما اضطر أحد إلى الصلاة عليهم فان عليه أن يلعنهم بدل الترحم عليهم[١٤٧]. ورووا عنه أنه قال: إذا صليت على عدو الله فقل: "اللهم إن فلانا لا نعلم منه إلا أنه عدو لك ولرسولك، اللهم فاحشِ قبره ناراً واحشِ جوفه ناراً وعجل به إلى النار فإنه كان يتولى أعداءك ويعادي أولياءك ويبغض أهل بيت نبيك، اللهم ضيق عليه قبره " فإذا رُفع فقل: " اللهم لا ترفعه ولا تزكه".[١٤٨] وروى محمد بن مسلم عن الصادق أنه قال: إن كان جاحدا للحق فقل: "اللهم املأ جوفه ناراً وقبره ناراً وسلط عليه الحيات والعقارب"[١٤٩]. وفي رواية أخرى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: تقول: " اللهم اخزِ عبدك في عبادك وبلادك، اللهم أصله نارك وأذقه أشد عذابك فإنه كان يعادي أولياءك

ويوالي أعداءك ويبغض أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله[١٥٠].

٤ـ المقاطعة الاقتصادية:

وإلى جانب المقاطعة السياسية والثقافية والاجتماعية، نقل الإمامية أحاديث عن أئمة المذهب بوجوب مقاطعة الشيعة لمخالفيهم اقتصاديا، وخصوصا في موضوع الزكاة. وقد نقلنا تلك الروايات في فصل الفقه الإمامي. وقد زعموا بتحريم "الأئمة" لدفع الزكاة للفقراء المخالفين[١٥١]. ونقل الزكاة من بلد إلى آخر، إن لم يوجد "عارف" في البلد الأول[١٥٢]. ووجوب إعادة إخراج الزكاة مرة ثانية إن تم وضعها في غير موضعها[١٥٣].

٥ـ الانطواء: تعزيز العلاقات الشيعية الداخلية:

ونتيجة للانفصال الذي أحدثته نظرية "الإمامة الإلهية" بين الإمامية ومحيطهم الإسلامي العام، أدرك الإماميون مبكراً أهمية تعزيز العلاقات الداخلية، فنقلوا عن الباقر قوله لأحد أصحابه: "يا خثيمة أبلغ من ترى من موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم وأن يعود غنيهم على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن لقيا بعضهم بعضا حياة لأمرنا، رحم الله عبدا أحيا أمرنا"[١٥٤]. ورووا أن الإمام سأل شيعيا آخر قائلا: أ تخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟ فقال: إي والله إنا لنخلو ونتحدث ونقول ما شئنا، فقال: أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن، أما والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم؛ وإنكم على دين الله ودين ملائكته فأعينوا بورع واجتهاد"[١٥٥].

ونقلوا عن أبي عبد الله أنه أوصى الشيعة بالتزاور والمحادثة والتبري والتولي[١٥٦] وأنه قال:" إن لله ملائكة سياحين، سوى الكرام الكاتبين، فإذا مروا بقوم يذكرون محمدا وآل محمد قالوا: قفوا فقد أصبتم حاجتكم، فيجلسون، فيتفقهون معهم فإذا قاموا عادوا مرضاهم وشهدوا جنائزهم وتعاهدوا غائبهم، فذلك المجلس الذي لا يشقى به جليس"[١٥٧].

وقد لعبت هذه الأحاديث والوصايا بمقاطعة المخالفين عباديا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ونفسيا، وتعزيز العلاقات الداخلية الشيعية، دورا كبيرا في تشييد الكيان الطائفي الخاص للشيعة، وفرض جدار من العزلة حولهم، وتحويلهم من طليعة سياسية تناضل من أجل مصالح الأمة العامة في الحرية والعدالة والشورى، الى مجموعة خاصة منطوية على نفسها وتتبادل العداوة والبغضاء مع الآخرين.

هوامش البحث

(١) سيرة ابن هشام، الجزء الثاني، ص ٦١

(٢) فقد بعث إلى أمير الغساسنة في دمشق الحارث بن شمر الغساني، كتابا يقول فيه: " السلام على من اتبع الهدى وآمن به، أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك". (تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٣٦) وقال للرسولين اللذين بعثهما باذان بن ساسان عامل كسرى على اليمن:" قولا له: إن ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ كسرى، وان أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء". (المصدر، ج٢ ص ٣٨) وكتب إلى المنذر بن ساوي العبدي عامل كسرى على البحرين:"...سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت يديك. واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر". (مكاتيب الرسول، ص١٤٥) كما كتب إلى هوذة بن علي ملك اليمامة: "... أسلم تسلم، واجعل لك ما تحت يديك". (المصدر، ص ١٥٦) وكتب إلى جيفر وعبد ابني الجلندي في عمان يدعوهما بدعاء الإسلام، ويقول لهما: "اسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. وإنكما ان أقررتما بالإسلام وليتكما، وان أبيتما ان تقرا بالإسلام فان ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما". (المصدر، ص ١٦٢) وعندما عاهد النبي أهل مقنا، اتفق معهم على"...ان ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم". (المصدر، ص١٢٠ و ١٢٢).

(٣) جاء في رسالته الى كسرى : " بسم اللّه الرّحمن الرّحيم. من محمّد رسول اللّه إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن باللّه ورسوله، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية اللّه، فإنّي أنا رسول اللّه كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم. فإن أبيت فعليك إثم المجوس".

(٤) فياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، ص ٤٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦

(٥) المصدر السابق، ص ٤٧ نقلا عن الخوارج والشيعة، ص ١٤٨

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤ ص ٣١٣، ١٩٤ وسيرة ابن هشام، ج ٢ ص ٣٧١

(٧) الطبري، ج ٢ ص ١٢٠ والقاضي الهمداني، عبد الجبار، المغني في التوحيد والإمامة، ج٢٠ ص ٢٣٨

(٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله، ح رقم ٩ و ج١ ص٢٣٦ والمفيد، الأمالي، ص٢٢٠، المجلس رقم٢١، والإرشاد، ص١٨٨.

(٩) الكليني، روضة الكافي، ص٢٤٦.

(١٠) الإمام علي، نهج البلاغة، ص٩٨.

(١١) المرتضى، الشافي، ج ٣ ص٢٤٢ وهناك روايات أخرى يذكرها الشريف الرضي في "نهج البلاغة" توحي بشعور الإمام علي بالأولوية بالخلافة، مثل قوله:" اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فانهم قد

قطعوا رحمي وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري". (المصدر خطبة رقم ٢١٧) وقوله لرجل من بني أسد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال:يا أخا بني أسد... أما الاستبداد بهذا المقام ونحن الأعلون نسبا والأشد برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا، فانها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين". (المصدر خطبة رقم ١٦٢) وخطبة الشقشقية التي قال فيها:"أما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء.. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا.." (خطبة رقم ٣) وقوله:"إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ؛ لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم". (خطبة رقم ١٤٤) وبغض النظر عن المناقشة في سند نهج البلاغة، أو سند هذه الخطب، فانها تشير إلى شعور الإمام علي بأولويته بالخلافة وأحقيته بها، ولا تشير إلى مسألة النص على الإمام علي من الرسول، أو تعيينه خليفة من بعده.

(١٢) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢٢، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص ١٨

(١٣) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٧

(١٤) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٨

(١٥) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٨

(١٦) البغدادي، الفرق، ص ٢٥

(١٧) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٦

(١٨) الكليني، الكافي، الفروع، ج٥ باب دخول عمرو بن عبيد والمعتزلة على أبي عبد الله، ح رقم ٨٢٤٧ – ١

(١٩) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٦٢

(٢٠) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم ٤٨٥ عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال:

(٢١) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء، ح رقم ٢

(٢٢) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثة العلم، ح رقم ٢ و ٣و ٤و ٥ و ٧

(٢٣) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم ٥٧٤

(٢٤) الذي رواه عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله (ص) :"أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين : الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، إن تمسكتم بهما لا تضلوا، ولا تبدلوا، وإني سألت اللطيف الخبير أن لا يتفرقا حتى يردا علي الحوض فأعطيت ذلك، قالوا : وما الثقل الأكبر؟ وما الثقل الأصغر؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله، وسبب طرفه بأيديكم والثقل الأصغر عترتي وأهل بيتي". بصائر الدرجات : ١٢٢ و ١٢٣

(٢٥) وفي رواية أخرى عن على بن محمد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود، عن يحيى ابن أديم عن شريك، عن جابر قال : قال أبو جعفر: دعا رسول الله (ص) أصحابه بمنى فقال : " يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " ثم قال : " أيها الناس إني تارك فيكم حرمات الله : كتاب الله، وعترتي، والكعبة البيت الحرام " ثم قال أبو جعفر: أما كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبة فهدموا وأما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله فقد تبروا. الصفار، بصائر الدرجات : ١٢٣

(٢٦) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثة العلم، ح رقم ٦

(٢٧) الوافي، ح رقم (٣٣٢٢٤) عن الكافي ١ : ٣٢٩ | ٣

(٢٨) الوافي، ح رقم (٣٣٢٢٥) عن الكافي ١ : ٣٢٩ | ٤.

(٢٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم ٥

(٣٠) الوافي، ح رقم (٣٣٢٣٦) عن بصائر الدرجات : ٥٣١ | ٢١.

(٣١) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم ١

(٣٢) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم ٢

(٣٣) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم ٤٨٥

(٣٤) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم ٤٨٥

(٣٥) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم ٦

(٣٦) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم ١٠

(٣٧) وقد نقل الكشي عن الإمام الصادق أنه كان يقول :إن أهل المدينة كانوا ينكرون على الباقر روايته عن رسول الله (ص)، ويقولون: ما رأينا أحدا قط أكذب من هذا يحدث عمن لم يره. فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله فصدقوه، وكان جابر والله يأتيه يتعلم منه. الكشي في ترجمة جابر بن عبد الله الأنصاري.

(٣٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأرض لا تخلو من حجة، ح رقم ٨

(٣٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأرض لا تخلو من حجة، ح رقم ٩

(٤٠) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح رقم ٢

(٤١) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح رقم ٣ عن سدير

(٤٢) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة، ح رقم ١ و٢.

(٤٣) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة، ح رقم ٣.
(٤٤) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح رقم ٤.
(٤٥) الصفار، بصائر الدرجات، ج ٩ باب (٢٢) ح رقم (٢)
(٤٦) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الله لم يعلم نبيع علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين، ح رقم ١ و ٢ و ٣
(٤٧) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم ١ و٦
(٤٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم ٧
(٤٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم ١
(٥٠) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم ٣
(٥١) الوافي، (٣٣٥٨٧) ٥٦ بصائر الدرجات : ٢٢٦ | ١٤.
(٥٢) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن من وصفه الله بالعلم في كتابه هم الأئمة، ح رقم ١ و٢
(٥٣) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة، ح رقم ٢
(٥٤) الوافي،(٣٣٥٣٤) الكافي ١ : ١٨٨ | ١.
(٥٥) الوافي،(٣٣٥٤٦) ١٥ الكافي ١ : ١٧٩ | ٦.
(٥٦) الوافي، (٣٣٥٩٥) ٦٤ تفسير فرات الكوفي : ٩١
(٥٧) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة، ح رقم ١و٢ و ٣
(٥٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة، ح رقم ٤
(٥٩) الوافي، (٣٣٥٨١) ٥٠ بصائر الدرجات : ٢١٦ | ٨.
(٦٠) الوافي،(٣٣٥٨٠) ٤٩ بصائر الدرجات : ٢١٦ | ٧ و ٨
(٦١) الوافي،(٣٣٥٧٢) ٤١ المحاسن : ٣٠٠ | ٥.
(٦٢) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم ١
(٦٣) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم ٢
(٦٤) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم ١
(٦٥) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم ٣
(٦٦) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم ٢
(٦٧) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ١
(٦٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ١
(٦٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٣

(٧٠) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٢
(٧١) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٥
(٧٢) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٦ كما اعتمد على تفسير هذه الآية :" وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" ليقول بضرورة وجود النذير من قبل النبي في كل جيل من أجيال الأمة الإسلامية، وأن القرآن لا يكفيهم إلا بوجود المفسر، وأن النبي لم يفسر القرآن إلا لرجل واحد هو علي بن أبي طالب. المصدر
(٧٣) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٧
(٧٤) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٧
(٧٥) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٩
(٧٦) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم ١و ٢ و٣ و٤
(٧٧) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم ٢
(٧٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم ٢
(٧٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم ٤
(٨٠) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم ٥ والصفار، بصائر الدرجات، ج ٧ باب ٦ ح رقم (١٠)
(٨١) الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم ٤٠٢٧ – عن الكشي في ترجمة حمران بن أعين الشيباني.
(٨٢) تقول روايات عديدة عن الصادق أن المغيرة كان يكذب على الباقر في حياته فيأخذ كتبه من أصحابه ويدس فيها ما يشاء من كفر وزندقة وغلو، كما في هذه الرواية أنه قال:"كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب فيدفعونها إلى المغيرة، وكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه، ثم يأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبه". أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الثاني، ص ٣٨١ – ٣٨٣
(٨٣) الصفار، بصائر الدرجات، ج ٧ باب ٦ ح رقم (١٣) وعن زرارة عن أبي جعفر قال الأنبياء على خمسة أنواع منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عنى به ومنهم من ينبأ في منامه مثل يوسف وإبراهيم ومنهم من يعاين ومنهم من ينكت في قلبه ويوقر في أذنه. الصفار، بصائر الدرجات، ج ٨، باب ١ في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم، ح رقم (٦)
(٨٤) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم ١
(٨٥) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم ٢ و باب لولا أن الأئمة يزدادون لنفد ما عندهم، ح رقم ١ و ٢

(٨٦) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم ٥ وباب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم ١
(٨٧) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم ٤
(٨٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم ٥
(٨٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم ٣
(٩٠) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه، ح رقم ٨
(٩١) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم ٧
(٩٢) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم ٨
(٩٣) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم ٩
(٩٤) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم ١
(٩٥) واعتبر الصادق في حديث له الولاية ثالثة الأثافي، فقال: أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها". الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم ٣ و ٤
(٩٦) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم ٥
(٩٧) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم ١
(٩٨) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم ٦
(٩٩) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم ٥
(١٠٠) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أدنى ما يكون فيه العبد مؤمنا أو كافرا، ح رقم ١
(١٠١) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإسلام يحقن به الدم، ح رقم ٤ و كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم ٦
(١٠٢) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب نسبة الإسلام، ح رقم ٢ و ٣
(١٠٣) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح رقم ٢٧، و باب الكفر ١٦ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و كتاب الروضة، ح رقم ٣٥٣
(١٠٤) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ح رقم ٤
(١٠٥) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ح رقم ٥
(١٠٦) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، ح رقم ٦
(١٠٧) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم ٣٤١
(١٠٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم ٢

(١٠٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم ٤ و ح رقم ١٢
(١١٠) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم ٥
(١١١) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم ٣٥٦
(١١٢) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم ٤٢ و ٤٣
(١١٣) الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم ٤٥
(١١٤) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله، ح رقم ٢
(١١٥) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله، ح رقم ٥
(١١٦) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله، ح رقم ٣
(١١٧) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم ١
(١١٨) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم ٢
(١١٩) الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم ٣
(١٢٠) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم ١
(١٢١) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح رقم ٨ و ٩ و ١٢ و ١٥
(١٢٢) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح رقم ١٣
(١٢٣) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٣١ - ٥
(١٢٤) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٣٨ - ١٢
(١٢٥) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٢٩ – ٣
(١٢٦) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٣٧ - ١١
(١٢٧) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٣٣ - ٧
(١٢٨) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٣٤ - ٨
(١٢٩) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٤٤ – ٢ و ح رقم ٨٥٤١ - ١٤
(١٣٠) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٤٣ - ١
(١٣١) الكليني، الكافي، ح رقم ٨٥٤٥ – ٣ و ح رقم ٨٥٤٦ - ٤
(١٣٢) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح رقم ٣
(١٣٣) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح رقم ٢ و ٤ و كتاب الروضة، ح رقم ٣١٤
(١٣٤) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٦١ - ١٧
(١٣٥) الكليني، الكافي، ح رقم ٣٨٦٦ - ٦
(١٣٦) الكليني، الكافي، ح رقم ٣٨٨١ - ١
(١٣٧) الكليني، الكافي، ح رقم ٥٢٧٦ – ٢ و ح رقم ٥٢٨١ – ٧ و ح رقم ٥٢٧٨ - ٤

(١٣٨) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٥٦ - ١٢
(١٣٩) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الضلال، ح رقم ٢ و ح رقم ٩٥٤٦ - ٢
(١٤٠) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٣٦ – ١ و ح رقم ٩٥٣٧ - ٢
(١٤١) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٤٧ - ٣
(١٤٢) الكليني، الكافي، ح رقم ٢ ٩٥٥ – ٨ و ح رقم ٩٥٤٨ - ٤
(١٤٣) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٤٥ – ١ و ح رقم ٩ ٩٥٤ - ٥
(١٤٤) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٥٠ - ٦
(١٤٥) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٥٩ - ١٥
(١٤٦) الكليني، الكافي، ح رقم ٩٥٦٠ - ١٦
(١٤٧) الكليني، الكافي، ح رقم ٤٥٤٠ – ١ و ح رقم ٤٥٤١ - ٢
(١٤٨) الكليني، الكافي، ح رقم ٤٥٤٣ - ٤
(١٤٩) الكليني، الكافي، ح رقم ٤٥٤٤ – ٥ و ح رقم ٤٥٤٦ – ٧
(١٥٠) الكليني، الكافي، ح رقم ٤٥٤٥ - ٦
(١٥١) الكليني، الكافي، ح رقم ٥٩٢٨ – ٦ و ح رقم ٥٧٤٤ - ١
(١٥٢) الكليني، الكافي، ح رقم ٥٩٧٠ - ١١
(١٥٣) الكليني، الكافي، ح رقم ٥٩٢٤ - ٢
(١٥٤) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب زيارة الإخوان، ح رقم ٢
(١٥٥) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب تذاكر الإخوان، ح رقم ٥
(١٥٦) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب تذاكر الإخوان، ح رقم ٢ و كتاب الروضة، ح رقم ٢٩٢.
(١٥٧) الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب تذاكر الإخوان، ح رقم ٣ و ٤ و ٦.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإمام علي، نهج البلاغة
- الكليني محمد بن يعقوب، الكافي
- الصفار محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات
- حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات

- الصدوق، علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة
- الصدوق محمد بن علي، إكمال الدين
- الصدوق، عيون أخبار الرضا
- الصدوق، الأمالي
- الصدوق، علل الشرائع
- الصدوق، من لا يحضره الفقيه
- كتاب سليم بن قيس الهلالي
- المجلسي: بحار الأنوار
- الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار
- الخزاز، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر
- الحر العاملي، وسائل الشيعة
- الفيض الكاشاني، الوافي
- ابن شعبة الحراني، تحف العقول
- الأميني، الغدير
- القمي، مفاتيح الجنان
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق
- ابو الحسن الأشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
- الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق
- النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة
- الشهرستاني، الملل والنحل
- الطوسي أبو جعفر، اختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي)
- الطوسي، الفهرست
- الخوئي أبو القاسم، معجم الرجال
- الحلي الحسن بن المطهر، خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال

- الحافظ الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء
- القاضي الهمداني، عبد الجبار، المغني في التوحيد والإمامة،
- القاضي الهمداني، تثبيت دلائل النبوة
- الشريف الرضي، خصائص الأئمة
- المرتضى علم الهدى، الشافي
- الطوسي، تلخيص الشافي
- المفيد، الأمالي
- المفيد، الإرشاد
- المفيد، الاختصاص
- المفيد، النكت الاعتقادية
- المفيد، عيون المعجزات
- المفيد، الثقلان الكتاب والعترة / عدة رسائل
- المفيد، الفصول المختارة
- المفيد: أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق
- الطوسي، الغيبة
- النعماني، الغيبة
- المرتضى، رسالة في الغيبة
- الحلي، نهج الحق وكشف الصدق
- الحلي، منهاج الكرامة في إثبات الإمامة
- محمد صادق الصدر، الشيعة الإمامية
- أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة
- الحسني، هاشم معروف، بين التصوف والتشيع
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك
- سيرة ابن هشام

- تاريخ ابن خلدون
- المسعودي، مروج الذهب
- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة
- مكاتيب الرسول
- الثقفي، كتاب الغارات
- ابن كثير، البداية والنهاية
- الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب (مقتل الإمام أمير المؤمنين)
- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة
- المسعودي، التنبيه والاشراف
- محمد بن سعد، الطبقات الكبرى
- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء
- العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى
- فياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة
- الخونساري، روضات الجنات
- تفسير علي بن إبراهيم القمي
- العياشي، التفسير
- الطباطبائي محمد حسين، تفسير الميزان
- الخوئي، البيان
- الصدوق، الهداية
- الطوسي، النهاية
- المفيد، المقنعة
- الكراجكي، كنز العرفان
- سلار، المراسم
- ابن إدريس، السرائر

- المحقق الحلي، المختصر النافع
- العلامة الحلي، تحرير الأحكام
- يحيى بن سعيد، الجامع للشرائع
- المقدس الاردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان
- السبزواري، كفاية الأحكام
- الكاشاني، مفاتيح الشريعة
- النراقي، عوائد الأيام
- الهمداني، مصباح الفقيه
- الأنصاري، مرتضى، المكاسب
- الشيخ محمد حسن النجفي، جواهر الكلام
- الخوئي أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى / كتاب الاجتهاد والتقليد
- الخميني، كتاب البيع،
- الخميني، الحكومة الإسلامية
- الصادق الوعد، صفحات من حياة الداعية المؤسس الحاج محمد صالح الأديب
- مذكرات السيد مهدي الحكيم
- النعماني، محمد رضا: الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار
- الخرسان، صلاح: حزب الدعوة
- حميد عنايت، تفكير نوين سياسي إسلام
- طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية
- الفكر الشيعي المبكر، تعاليم الإمام محمد الباقر، لالرزينة لالاني)
- صحيفة كيهان، العدد رقم ١٣٢٢٣ المؤرخ ١٦ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ